من خطب سماحة آية الله السيد علي الخامنئي
في شهر رمضان المبارك

صهبا

بسم الله
الرحمن الرحيم

من خطب سماحة آية الله السيد علي الخامنئي
في شهر رمضان المبارك

صهبا

خمس مقالات في التوبة والإستغفار

من خطب سماحة آية الله السيد علي الخامنئي

في شهر رمضان المبارك

جمع وتأليف: مؤسسة صهبا

ترجمة: كمال السيد

تصحيح و تنقيح: ناصر النجفي

أيّار – ٢٠٢٠

arabic.SAHBABOOKS.com

العتبة الرضوية المقدسة

معاونية الإعلام والعلاقات الإسلامية

صهبا

محتويات الكتاب

المقالة الأولى: الاستغفار مقدّمة التوبة

شهر رمضان المبارك فرصة للاستغفار ١٢
الاستغفار في الآيات والروايات ١٢
التأثير الاجتماعي للاستغفار ١٤
التأثير الاجتماعي للمعاصي ١٤
الأثر المضاعف للمعصية في المجتمع الإسلامي ١٦
الاستغفار هي وسيلة الأمان من العذاب الإلهي ١٨

المقالة الثانية: أبعاد الاستغفار والتوبة

على الجميع الاستغفار ٢٢
جميع الأعمال مقدمة للإصلاح ٢٣
الإصلاح والاستغفار الجماعي ٢٤
الاستغفار من الذنوب الثلاث: الفردي والتعدي على الغير والجماعي ٢٥
خمس نماذج للذنوب المؤثرة على المجتمع ٢٨

المقالة الثالثة: آثار الذنب

الاستغفار وسيلة إلى الألطاف الإلهية ٣٤
الآثار المعنوية للذنوب ٣٥
الاستغفار نعمة إلهية لمحو الذنوب ٣٧
المانع الأول للاستغفار: الغفلة ٣٩
المانع الثاني للاستغفار: الغرور ٤١
شرائط الاستغفار الحقيقي ٤٢
الاستغفار الجماعي ٤٣

المقالة الرابعة: ليلة القدر، فرصة الاستغفار الكبرى

استغفار أولياء الله ٤٨
ليلة القدر هي فرصة الاستغفار ٥٠
الآثار الاجتماعية للاستغفار ٥١
خيرٌ من ألف شهر ٥٢

المقالة الخامسة: الدعاء وسيلة التوجّه إلى الله والاستغفار

ضرورة الذكر والوعي المستمر ٥٣
التقوى هي المراقبة والوعي المستمر ٥٤
الدعاء وخصوصيات شهر رمضان وسيلة للذكر ٥٦
ترك الذنوب هي الحافظة للتقوى ٦٠
احتياج المجتمع والنظام الإسلامي إلى الأشخاص المتقين ٦١
الدعاء والذكر والوعي العاشورائي ٦٢

هذا الكتاب

واحدة من الخصائص البارزة التي يمتاز بها سماحة الإمام الخامنئي كمفكّرٍ ومثقّفٍ إسلامي، تتمثل في رؤيته للإسلام بصفته مدرسة صانعة للإنسان وللمجتمع. إنّ هذه الرؤية المنبثقة من القرآن والمنطبقة على فلسفة إرسال الرسل وإنزال الكتب السماوية، أدّت بسماحته إلى أن يبيّن المفاهيم الإسلامية من منظار عمليٍّ له ثماره العملية في حياة الناس ويوضّح التكاليف والمسؤوليات الناهضة من هذه المفاهيم.

هذا ما يمكن مشاهدته بكلّ وضوح في كتاب «مشروع الفكر الإسلامي في القرآن»[1] . حيث يعتبر سماحته على سبيل المثال بأنّ المسؤولية التي يُلقيها التوحيد على عاتق الإنسان الموحّد أو المجتمع الموحّد تفوق مستوى الأوامر الشخصية والتكاليفة الفردية، وتدخل في عِداد أولى قضايا المجتمع الأساسية، من قبيل: الحكومة،

---

١. هذا الكتاب هو حصيلة إقامة جلسات بنفس هذا العنوان في شهر رمضان المبارك سنة ١٩٥٤ في مدينة مشهد المقدسة. وقد توافرت الترجمة العربية لهذا الكتاب عبر الرابط التالي.

الاقتصاد، العلاقات الدولية، العلاقات بين الأشخاص. أو يقول في موضع آخر من نفس هذا الكتاب، وفي نقد بعض الأفكار الخاطئة التي تذهب إلى أنّ الاستغفار لا يتعدّى الذكر اللساني أو الندم القلبي على ارتكاب الذنب: إنّ الله غفّار ويملأ الفراغات التي صنعتها الذنوب، ولكن للذين يتداركون الأمر، والتدارك لا يتحقق إلا بالتوبة والقيام بالأعمال الصالحة! ﴿وَ إِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾. فلا ينبغي الاقتصار على القول والغفلة عن العمل.

بهذه الرؤية، تناول سماحة الإمام القائد، في ذيل مفاهيم التوبة والاستغفار، أبحاثاً مختلفة، من قبيل: معنى التقوى، أهمية الدعاء والطلب من الله، شرائط الاستغفار الحقيقي، موانع الاستغفار، الاستغفار العام، الذنوب الفردية والاجتماعية وآثارها، معنى الاستغفار من كلّ واحد من الذنوب، آثار الاستغفار الاجتماعية، وأهمية الاستغفار في ليلة القدر.

المقالة الأولى: الاستغفار مقدّمة التوبة

الخطبة الأولى/صلاة الجمعة • ٢٦ رمضان المبارك ١٤٠٨ (١٣/٥/١٩٩٨م)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين، نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره ونؤمن به ونتوكّل عليه، ونصلّي على حبيبه ونجيبه وخيرته من خلقه حافظ سرّه ومبلّغ رسالاته، المبشّر برحمته والنذير بنقمته، سيّدنا ونبيّنا أبي القاسم محمّد وعلى آله الأطيبين الأطهرين المنتجبين الهداة المهديّين المعصومين، سيّما بقيّة الله في الأرضين، اللهم صل على أئمة المسلمين وحماة المستضعفين وهداة المؤمنين.

قال الله الحكيم في كتابه: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾[1]

أوصي جميع الأخوة والأخوات المؤمنين والمؤمنات بتقوى الله تعالى، والتوجه إليه سبحانه وتعالى، والاستغفار من الذنوب، والندم على ما بدر من المعاصي، والإقبال على عمل الخير والإحسان والبرّ.

---

١. سورة الزمر: ٥٣

شهر رمضان المبارك فرصة للاستغفار

اليوم هوآخر جمعة من شهر رمضان المبارك، وهو من الفرص الكبرى التي ينبغي اغتنامها من قبل المؤمنين وأصحاب القلوب اليقظة؛ ولذا أرغب في بحث موضوع يتناسب مع شهر رمضان المبارك وعلى نحو موجز ومن أجل أن أذكّر نفسي وإيّاكم أيّها العزاء، وهو موضوع الاستغفار. إنّ احدى فرص الاستغفار هو شهر رمضان المبارك، وهو في طريقه إلى الانقضاء؛ إنّنا إذا لم نوفّق في طلب المغفرة والعفو الإلهي عن ذنوبنا في هذه الأيّام المعدودة، ولم ننجح في استنزال الرحمة الإلهية، فانّنا نبوء بالخسران المبين.

إنّ الخسران الحقيقي هو الحرمان من الرحمة الإلهيّة في شهر الرحمة والمغفرة؛ وإنّ أحد الطرق إلى استمطار الرحمة الإلهيّة هو الاستغفار، والاستغفار يعني أن نطلب من الله سبحانه وتعالى ونسأله أن يعفو عنّا ويسامحنا ويغفر لنا ما ارتكبنا من الخطايا.

وقد أكّد القرآن الكريم موضوع الاستغفار، فقد طلب منّا أن نتوجّه إلى الله ﷻ في طلب الغفران والعفو عن الخطايا والذنوب التي ارتكبناها. ولا يوجد إنسان لا يخطىء، فكلّ ابن آدم خطّاء، طبعاً إنّ ذنوبنا نحن الأناس العاديين تختلف عن ذنوب الأولياء والمقرّبين؛ فأمير المؤمنين عليه السلام هو الاخر يستغفر، ولكنّ استغفاره ليس من نوع الأعمال التي نقوم بها؛ إنّه يستغفر من أشياء أخرى.

إننا في حياتنا الشخصية وحياتنا اليوميّة وحياتنا الاجتماعّية نرتكب الأخطاء ونقترف الذنوب، وهذه الأعمال هي جرأة على الله سبحانه، علينا أن نستغفره ونطلب منه العفو. وسأتحدّث بضع دقائق حول هذا الموضوع.

الاستغفار في الآيات والروايات

أولاً: إنّ قسماً مهمًّا من الأدعية التي ندعو بها والواردة من أئمّتنا المعصومين عليهم السلام هي

في الاستغفار، وهذا يدلّ على أهمّية موضوع الاستغفار.

إنّ الدعاء الشريف المعروف بدعاء كميل والذي نقرأه في ليالي الجمعات يعدّ من أجلّ الأدعية، وهو في الحقيقة دعاء أمير المؤمنين عليه السلام الذي علّمه لصاحبه كميل بن زياد، وعندما نطالع هذا الدعاء ونتأمّل فيه، نجده يبدأ بالاستغفار وينتهي بالاستغفار، فهو يسأل الله عزّ وجلّ العفو والغفران بمفردات متعدّدة ولغة ثرية متنوّعة.

في مطلع الدعاء يقسم الإمام عليه السلام على الله عزّ وجلّ بعشرة أشياء؛ يقسم اولاً برحمته وبقوته وجبروته وعزّته ونوره وبعشر صفات من صفات الربوبيّة، ويتضرّع في الدعاء والسؤال من خلال لغة شفّافة غاية في الرقّة والبلاغة التي اشتهر بها عليه السلام.

بعد ذلك أي بعد هذا القسم ـ يطلب الإمام عليه السلام من الله عزّ وجلّ أن يغفر له خمسة أنواع من الذنوب «اَللّهُمَّ اغْفِرْ لِي الذُّنُوبَ الَّتِي تَهْتِكُ الْعِصَمَ»، أي الذنوب التي تمزّق أستار العصمة، و«الذُّنوبَ التِي تُغَيِّرُ النِّعَمَ»، و«الّذنُوبَ الّتي تُنْزِلُ البَلَاء»، والذنوب التي تمنع استجابة الدعاء. لاحظوا تأثير الذنوب والخطايا التي نرتكبها في حياتنا وما يترتّب عليها من أضرار في حياتنا، إنّ علينا أن نسأل الله تعالى أن يعفو عنّا ويتجاوز عن خطايانا وذنوبنا؛ وهكذا الأمر في الدعاء المعروف بدعاء أبي حمزة الثمالي والأدعية الأخرى، حيث تزخر جميعها بطلب الغفران والعفو الإلهي.

وفي آيات القرآن الكريم إذا ما ألقينا نظرة إجماليّة نجد جميع الأنبياء يحثّون أقوامهم على طلب المغفرة من الله عزّ وجلّ: ﴿وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ﴾[1] ذلك أنّ الاستغفار هو الخطوة الأولى في الطريق إلى تحقيق السعادة، وذلك من خلال قبول التوبة، لأنّ التوبة ليست في طلب المغفرة فقط، وإنّما تعني العودة إلى الله، وعدم ارتكاب الخطيئة مجدّداً؛ فالخطوة الأولى هي طلب المغفرة.

---

١. سورة هود: ٣

التأثير الاجتماعي للاستغفار

إنّ الاستغفار كما هو واضح من خلال الآيات القرآنية والروايات يفضي إلى حلّ مشكلات الإنسان والمجتمعات البشريّة.

إنّ المجتمع ـ أيّ مجتمع ـ إذا ما انتبه إلى ما يرتكبه من المعاصي، وحصلت لديه حالة من الوعي الذاتي، واستشعر حالة من الندم جرّاء ذلك، وحصلت له إرادة في اجتناب ارتكاب الذنوب والخطايا، واقبل بوجهه على الله ﷻ يسأله العفو والغفران، فإن البركات الإلهيّة سوف تغمره؛ وإنّنا لنجد شواهد عديدة حول هذه الحقيقة في سورة هود وفي سورة نوح: ﴿وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا﴾[١] وفي آية أخرى: ﴿وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ﴾[٢]. إن الاستغفار وطلب العفو الإلهي يؤدّي إلى الخصب والفورة الاقتصاديّة، حيث تهطل السماء بالمطر المدرار الغزير، وتتدفّق الينابيع، وتمتلأ السواقي بالمياه العذبة.

ونقرأ في سورة نوح قوله تعالى على لسان نبيّه الكريم: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا (١٠) يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا (١١) وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾[٣].

التأثير الاجتماعي للمعاصي

وفي مقابل ذلك فانّ الذنوب والمعاصي تدمر الحياة الاجتماعية، وتفضي بالمجمعات إلى هاوية السقوط والفناء، وما اكثر المجتمعات المرفّهة التي كانت تعيش في رخاء

---

١. سورة هود: ٣

٢. سورة هود: ٥٢

٣. سورة نوح: ١٠-١٢

اقتصادي وتحيا حياة كريمة، ثم لمّا انغمست في الخطايا والذنوب والمعاصي، انتهى بها لأمر إلى الذلّ والبؤس والحرمان، وكان مصيرهم الهوان: ﴿أَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ﴾[١] وحلّ بهم غضب من الله، وحاق بهم ما كانوا يفعلون! ليس فيه أيّ استثناء، فإذا غفلنا عن هذه الحقيقة فانّه سيصيبنا ما أصاب الأمم الغابرة.

إن علينا أن نعي هذه الحقيقة دائماً لذلك يجب أن ننتبه إلى سلوكنا، لأنّ الغفلة عن ذكر الله وطاعته، ولأنّ الشهوات والأفكار الخاطئة تهدّدنا بمصير المجتمعات الضالّة الغافلة والمنحرفة.

إن الطريق الوحيد للخلاص يكمن في مراجعة النفس، وتصحيح الأخطاء، والطلب من الله ﷻ التوفيق للتوبة من خلال الاستغفار، والعزم على تصحيح المسار، وذلك بالعودة إلى الصراط المستقيم وطلب الغفران لأنّ طلب المغفرة يزيد من حالة الوعي.

عندما يطلب منّا أن نلهج بذكر الاستغفار دائماً فماذا يعني ذلك؟ إنّ ذلك يعني أنّنا دائماً معرّضون للانزلاق والخطأ والانحراف؛ لأنَّ الاستغفار بذاته يعني طلب العفو عن الذنب، يعني الاستغفار مقابل ارتكاب الذنب. عندما يقال: الاستغفار كذا مرّة في يوم كذا، فهذا يعني أنّ الإنسان معرّض كذا مرّة لارتكاب الذنب؛ وهذه هي الحقيقة، وهي أنّنا معرّضون لارتكاب الخطيئة دائماً.

إنّ ما يؤلم حقًّا أن يؤدّي ارتكاب الذنوب في المجتمع إلى أن يعرض الله سبحانه بوجهه الكريم عنه، فيبوء بالخسران والهوان، وهذا ما حصل في التاريخ؛ والآيات القرآنية الكريمة تشير على مصائر العديد من الأقوام البشريّة، وكيف تمزّقت شرّ ممزّق بسبب الانزلاق في ارتكاب الخطيئة والانغماس في المعاصي.

وقد ورد في الروايات الكثير الكثير من المآسي والكوارث التي عصفت بحياة الأُمم

---

١. سورة آل عمران: ١١، سورة الأنفال: ٥٢، سورة غافر: ٢١

جرّاء ممارستها الظالمة وسقوطها الأخلاقي وانحطاطها الاجتماعي؛ ولا نريد التطرّق على هذا البحث، لأنَّه يخرج عن مناسبة خطبة صلاة الجمعة ووقتها.

وفي خصوص هذا اليوم وقد قمتم بمسيرة شاقّة (اليوم العالمي للقدس في آخر جمعة من شهر رمضان المبارك) ومن المؤكّد أنّكم متعبون جدّاً، ومع ذلك فانّه من اللازم توضيح هذا الأمر لعموم المجتمع، وهو أنّ على المبلّغين وعلماء الدين والخطباء في أيّام شهر رمضان المبارك وفي غيره من الشهور أن يتحدّثوا إلى الناس في التحذير من الغفلة، لأن الغفلة تعود بالأضرار الفادحة على المجتمع، وتسبّب له الخسائر الكبرى، وتقلب حياة الأُمم رأساً على عقب؛ وإنّه لمن أسوأ الذنوب ذنب لا يعود بالضرر على مرتكبه فقط.

الأثر المضاعف للمعصية في المجتمع الإسلامي

ومن هنا اذكّر نفسي وإخواني وأخواتي وكلّ أفراد الشعب الإيراني ـ وخاصّة الذين يتحملّون المسؤولية الاجتماعيّة صغيرة كانت أو كبيرة ـ بهذه النعمة والرحمة الإلهيّة الكبرى والعطف الإلهي، وهي في الحقيقة معجزة تاريخية كبرى، إنّ هذه النعم الكبرى لا يكتب لها الدوام ما لم نطلب من الله أن يعفو عن ذنوبنا ويتجاوز عن خطايانا. «اللهمّ اغفر لي الذنوب التي تغير النعم»[١]، إنّ هذه النعمة الكبرى وهي نعمة العزّة والكرامة والنصر إذا تغيّرت بذنوبي وذنوب أمثالي فإنّ هذه خسارة كبرى. إنّ بعض الذنوب في بعض الأحيان تكون أكثر ضرراً؛ فالغيبة مثلاً هي معصية دائماً، ولها أضرارها الاجتماعيّة، إذا ما اقترفت جاءت في وقت يكون فيه أفراد المجتمع بحاجة ماسّة أكثر إلى المحّبة والألفة والإخاء والوحدة، فإنّ الغيبة تكون أكثر ضرراً، وتكون

١. مفاتيح الجنان، دعاء كميل

عواقبها وخيمة جداً، ولذا تصبح ذنباً كبيراً جداً؛ ذلك أنها تفرق بين القلوب وتقطع الأواصر الأخوية.

إنّ توجيه الاتّهامات ذنب كبير، ولكن عندما يكون المجتمع بحاجة ماسّة إلى أن تتبلور قيم الخير من أجل اجتذاب قلوب الأفراد إلى تشرّب هذه القيم ونشر الصفاء الروحي والنقاء الأخلاقي؛ فانّ توجيه التهم يترك آثاراً سلبيّة في نفوس أفراد المجتمع لأنّه يزيح الستر عن العيوب وتصبح أمراً عادياً وهذا أمر يرفضه الإسلام ويعتبره ذنباً كبيراً جدًّا ومضاعفاً.

الكذب ذنب على الدوام؛ وعندما يحتاج المجتمع إلى أن يدرك لبّ الحقيقة ونشر الوعي الحقيقي من أجل أن يقرّر الشعب مصيره على نحو بنّاء، فانّ الكذب الذي يعني تغييب الحقيقة يصبح ذنباً كبيراً جداً ومن أكبر الذنوب، إنّ التهاون في العمل (تخفيض وقت العمل)، أو إنجاز العمل على نحو خاطئ أمر سيء في المجتمع دائماً؛ وإذا كان البلد بحاجة إلى أن يقوم أفراد المجتمع بأعمالهم على نحو أكمل في موقعهم؛ الكاسب، والعامل، والمبلّغ الديني، والعسكري، والأستاذ، والطالب، والقروي كلّ يحتاج إلى الاخر، وهكذا ينهض المجتمع ويعمل وتسير الأمور على قدم وساق ويجتاز الجميع هذا المنعطف وهنالك تصبح البطالة والكسل والخمول والتخاذل والتخلّص من إنجاز العمل ذنباً كبيراً ومن كبائر الذنوب.

إنّ الظلم الاجتماعي ومصادرة الحقوق والتجاوز على الأعراض وغير ذلك من الذنوب دائماً، ولكن عندما يرفع المجتمع الإسلامي راية العدل القرآني، ويريد أن يكون مثالاً تحتذي به الأُمم والشعوب الأخرى من أجل تقديم النموذج والقدوة، فإن ممارسة الظلم سواء في المجال القضائي والدوائر العدلية والنظام الإداري وفي إقامة العلاقات العادية بين الأفراد وبين الجيران والزملاء والأصدقاء والتجاوز على حقوقهم، يصبح

الذنب كبيراً جداً ومضاعفاً، لأنّنا نريد أن نجعل من مجتمعنا مجتمعاً نموذجياً، ولا يمكن للمجتمع في هكذا ظروف أن يغضّ النظر عن هكذا ذنوب وممارسات ظالمة.

والآن من الذي يدّعي أنّنا مبرّأون من هكذا ذنوب؟ من الذي يزعم أنّنا لم نتلوّث بالكذب والغيبة وتوجيه الاتّهامات جزافاً والتملّص عن انجاز ما نكلّف به من وظائف وأعمال، ومن التجاوز على حقوق الآخرين؟ طبعاً أنا المسؤول في البلاد ووفقاً للقانون الأساسي أحمل مسؤوليّة مهمّة على عاتقي إذا ما ارتكبت ذنباً معيناً من هذه الذنوب، فانّ الأضرار التي يحدثها والخسائر التي يخلّفها ستكون أكبر وأكثر من الذنب الذي يرتكبه المواطن العادي والإنسان العادي! إنّي أنا المسؤول (في الدولة) إذا ما ارتكبت هذه التجاوزات سيكون وضعي أسوأ من وضعكم، غير أنّ جميع الناس اليوم هكذا أعمالهم وتجاوزاتهم لها تأثيرات أكثر خطراً قياساً بأوضاع المجتمع، حينما لم يكن المجتمع إسلامياً، ولم تكن الوحدة ضرويّة، ولم يكن يراد للمجتمع أن يكون مثالاً وقدوة.

الاستغفار هي وسيلة الأمان من العذاب الإلهي

لنكن مرهفين جدّاً إزاء الذنوب أيّها الإخوة والأخوات، وألّا نغفل عن الذنب، ألّا نغفل عن ذنوبنا ونهتمّ بذنوب الآخرين، إنّ أكبر الأعمال وأهمّ الدروس لدينا في الوقت الحاضر ومن اجل الحضور في ساحة الجهاد هو الوعي ورقّة الشعور، فإذا ما انتفت فأننا سوف نُهزم في ميادين الجهاد، سوف نفقد شجاعتنا في مواجهة أعداء الإسلام، وإذا ما انعدمت لدينا هذه الروح المعنويّة فانّ الحياة الإسلاميّة تصبح مستحيلة، ولن يكتب لها الاستمرار، إنّ هذه الروحية يعني هذا الشعور إزاء ما نقترفه من الذنوب والتجاوز والوعي المستمرّ في ما نقوم به من عمل أو قول، ما تكلمّنا به

هو ظلم وتجاوز على حقوق المسلم أو تجاوز لحدو اللهً.

إنّ نفس هذا الوعي ونفس هذا الشعور يدعى في اصطلاح الإسلام وفي معارفة السامية «التقوى».

إنّ الشعور الذي يفضي إلى اجتناب المعصية هو التقوى، وفي كلّ يوم جمعة ينهض أئمّة الجماعات بدعوة الناس إلى التقوى؛ ذلك أنّ التقوى لها دور مصيري في المجتمع بسبب آثارها الكبيرة في الحياة؛ وعندما تغيب حالة التقوى عن المجتمع أو انحلّت عراها، فان استمرار الحياة الإسلاميّة يصبح أمراً مستحيلاً؛ ولذا يجب على الجميع إحياء روح الاستغفار في النفوس، لأن روح الاستغفار تقود إلى نموّ التقوى.

وأود أن أختم كلامي بحديث للإمام أمير المؤمنين علي عليه السالم في نهج البلاغة:

«كانَ في الأَرضِ أَمانانِ مِن عَذابِ اللهُ، وقَد رُفِعَ أَحَدُهُما، فَدُونَكُمُ الْآخَرَ فَتَمَسَّكُوا بِهِ: أَمَّا الْأَمَانُ الَّذي رُفِعَ فَهُوَ رَسُولُ اللهُ ﷺ. وَأَمَّا الْأَمانُ الْبَاقِي فَالْإِستِغفَار، قالَ اللهُ تَعَالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾[1]»[2].

إذن فإنّ الاستغفار أمان من نزول العذاب؛ والمجتمع الذي يستغفر أفراده من الذنوب سيكون في أمان العذاب.

لقد مرّت المجتمعات الإسلاميّة بمحن كبرى؛ وعانى مجتمعنا المسلم ـ إيران خاصة ـ من هيمنة القوى الاستعماريّة والدول الأجنبيّة، ونهب ممتلكاتنا، وسرقة أموالنا، وتخلّف مجتمعاتنا عن ركب البشريّة؛ إن كلّ هذا من آثار ارتكاب الذنوب وغياب حالة التقوى في الحياة الاجتماعيةّ وعدم الاستغفار.

لهذا يجب علينا في الوقت الحاضر التمسّك بهذا الأمان الإلهي وأن نحافظ عليه وألّا

---

١. سورة الأنفال: ٣٣

٢. نهج البلاغة، الحكمة ٨٨

نكتفي بذكر الاستغفار والقول: «أستغفر الله»؛ لا يكفي أن يقول المسلم: «أستغفر الله وأتوب إليه»، إنه يعني طلب العفو والعودة إلى الله، لهذا يجب أن نجسّد هذا الكلام بأفعالنا وسلوكنا وتعاملنا؛ وأساس هذا كله يكمن في وعينا لحقيقة الاستغفار وعدم اقتراف الذنب؛ ومعرفة حقيقة ما نقوم به من أعمال. يتصور البعض أحياناً أنه يقوم بعمل يثاب عليه وهو في الحقيقة قد ارتكب ذنباً؛ فقد يندفع بروح ثورية، فيقوم بعمل ما، أو يقول كلاماً معيّناً بذريعة التمسّك بالإسلام والقرآن، وهو في الحقيقة يكون ضدّ الإسلام والقرآن.

إنّ علينا أن نكون في غاية الوعي لما نقوم به من أعمال، أن تكونوا واعين لما تفعلون وتقومون به من أفعال وأعمال، لا تقولوا: إننا لا نستطيع إدراك ذلك؛ كلا إنّ وجدان المرء يدرك جيداً ما هو جيّد، وما هو سيئ، وما هو صواب، وما هو خطأ، وما هو الموقف الذين يوافق «ما انزل الله». نسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفّقنا للاستغفار. اللّهم نقسم عليك بحقّ محمدّ وآل محمّد أن توفّقنا للتوبة والاستغفار في هذ الأيّام المتبقية في شهر رمضان المبارك.

اللهم وفّقنا لأن نعي ذنوبنا.

اللهم لا تؤاخذنا بذنوبنا بحقّ محمّد وآل محمّد.

اللهمّ اجعل هذه المواعظ والنصائح مؤثرة في القائل والمستمعَ!

المقالة الثانية: أبعاد الاستغفار والتوبة

لقاء عمّال الدولة • ٢٧ رمضان المبارك ١٤٢٦ (٢٠٠٥/١٠/٣٠م)

بسم الله الرّحمن الرّحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا أبي القاسم محمد وعلى آلة الأطيبين الأطهرين المُنتجبين سيما بقية الله في الأرضين قال الله الحكيم: ﴿وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ﴾[1]

مجلس مهم وأيام مهمة أيضاً، وها هو شهر رمضان المبارك بمأدبته العامرة بالبركات يقترب من النهاية ونحن المسؤولون في هذه الدولة الكبيرة، كنا وما زلنا دائماً نرجو العون والتسديد الإلهي في القيام بواجباتنا في هذا الشهر العزيز الذي يوشك ان ينصرف؛ في حين أننا لا نعلم كم يبلغ نصيبنا في هذا الشهر وفي ليالي القدر المباركة من الرحمة الإلهية والتفضل الإلهي؛ أننا لا نستطيع أن نغضّ النظر عن خيره وفضله الكبير.

إن عملنا ثقيل وطريقنا طويل ومسؤوليتنا كبيرة ولا يمكن النهوض بواجباتنا هذه الّا بعون

---

١. سورة هود: ٣

الله وتسديده؛ ولذا يجب اغتنام هذه الفرص وحديثي اليوم في الغالب حول هذه القضية.

على الجميع الاستغفار

إن الله تعالى يكرر في كتابه الكريم ـ ومنه هذه الآية الكريمة ـ أمره لنا بالاستغفار والتوبة التي تعني العود اليه تعالى، وهذه العودة تكون تارة في مرحلة الإيمان وأيضاً في مرحلة العمل والسلوك.

إنّ لدينا تقصيرات ويتوجب علينا اصلاح انفسنا نعم يجب علينا أن نصلح أنفسنا؛ وهذا الأمر يحظى بالأهمية القصوى، وفي نفس هذه السورة المباركة، سورة هود نقرأ ﴿الر ۚ كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ (١) أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ ۚ إِنَّنِي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ (٢) وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ﴾[١].

يعني أن رسالة القرآن الكريم في الدرجة الأولى هي مسألة التوحيد ومن ثم تأتي مسألة العودة اليه سبحانه؛ وأنّ طلب المغفرة من الله تعالى مطلوبة من كل البشر وعلى جميع المستويات بدءاً من الأنبياء عليهم السلام ثم الأدني فالأدنى؛ غير أنّ الذنوب التي استغفر منها الأنبياء والأولياء تختلف عن الذنوب التي نستغفر منها.

ولا تقس نفسك بعمل الأتقياء[٢]، ومن الممكن أن تجد انساناً مسود الوجه في الدنيا وكذلك في الآخرة؛ والله وحده هو العالم بحقائق البشر[٣]؛ واؤلئك أيضاً بحاجة إلى طلب المغفرة .

إنّ هذا النقص وعدم بلوغ الكمال وهذا التعثر النسبي يمكن جبره بطلب الغفران من الله! وهذا مختصّ بأولئك؛ أما ما يخصّنا فإنّ أخطاءنا وخطايانا كثيرة؛ لدينا أنواع شتى من هذه الأخطاء وهذا هو حديثنا الأساسي؛ وقد سجلت هذه الرواية: «ادفَعوا أَبوابَ

---

١. سورة هود: ١-٣

٢. جلال الدين الرومي

٣. محمود شبستري

البَلايا بِالاستِغفار»[١] ونحن نقرأ قوله تعالى: ﴿يُمَتِّعْكُم مَّتَاعًا حَسَنًا﴾[٢] يعني عيش حياة طيبة تتحقق بالاستغفار والتوبة وطلب المغفرة من الله تعالى.

جاء في الروايات: «خَيرُالدُّعاءِ الاِستِغفار»[٣]، وقد ورد في المناجاة الشعبانيّة: «إِلهَي مَا أَظُنُّكَ تَرُدُّنِي فِي حَاجَةٍ قَدْ أَفْنَيْتُ عُمُرِي فِي طَلَبِهَا مِنْكَ»، ترى ما هي هذه الحاجة التي أمضي العمر في طلبها من الله ﷻ: إنها المغفرة الإلهية وهذا ما يشير على أهميّة هذه المسألة الكبرى.

جميع الأعمال مقدمة للإصلاح

إنّ المغفرة الإلهيّة تعني تصحيح الأخطاء، يعني التعويض عمّا ألحقناه من ضربات بأنفسنا والآخرين، هذا ما يعنيه طلب المغفرة. وإذا ما وجدت هذه الحالة في المرء والعزم على إصلاح الأخطاء والمفاسد؛ فإنّ الطريق إلى الله سيكون ممهّداً، وفي النهاية سينتهي به المسار إلى الخير. إنّ مشكلتنا نحن البشر تكمن في الغفلة عمّا نرتكبه من أخطاء، والغفلة عن ضرورة تصحيح الأخطاء، والغفلة عن إصلاح الذات؛ فإذا تمّ القضاء على الغفلة ووجد لدينا هذا العزم فإن كلّ شيء سوف يتمّ تصحيحه أولاً في ذاتنا فهو الأساس في جميع مقدّمات الإصلاح وكسب الرضا الإلهي: ﴿عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾[٤]

إن كلّ جهودنا تنصبّ على تحقيق الرضا الإلهي عن النفس والوصول إلى الدرجة التي نتطلّع إليها من الكمال المنشود .

---

١. مستدرك الوسائل، كتاب الصلاة، أبواب الذكر، باب استحباب الإكثار من الاستغفار، حديث ٥٩٨٠

٢. سورة هود: ٣

٣. الكافي، كتاب الدعاء، باب الاستغفار، الحديث١

٤. سورة المائدة: ١٠٥

الإصلاح والاستغفار الجماعي

وهذه هي المرحلة الأولى؛ والمرحلة الأخرى، وهي مرحلة المقدّمات ومن أكبر واجباتنا، وهي الاستغفار الاجتماعي والإصلاح الاجتماعي في مسارنا وهدفنا الاجتماعي العام وفي عمق مجال قدراتنا؛ وهذا أوضح مثال في تأثير الاستغفار وفي المضمون والمحتوى الحقيقي للاستغفار. إنّ علينا ألّا نستصعب هذا العمل، خاصّة إذا حصلت لدينا الإرادة والعزم، فإنّ ذلك يصبح أمراً ميسوراً يمكننا القيام به.

جاء في الدعاء الشريف المعروف بدعاء أبي حمزة الثمالي: «وإنَّ الرّاحِلَ إلَيكَ قَريبُ المَسافَةِ». أنّ الأمر يمكن في الإرادة وفي الحركة والرحيل إلى الله: «وأنَّكَ لا تَحتَجِبُ عَن خَلقِكَ إلّا أن تَحجِبَهُمُ الأَعمالُ دونَكَ». إنّنا نضع بأنفسنا الفواصل والمسافات بيننا وبين الله سبحانه وذلك من خلال ارتكاب الأخطاء والذنوب؛ وإذا ما وفّقنا للاستغفار فان هذا التوفيق دلالة على رحمة الله.

فان استطعتم أن توجدوا في قلوبكم استغفاراً يتولّد عنه عزم وإرادة قويّة في الحركة والسير نحو الله، فاعلموا أنّ ذلك يحصل بتوفيق من الله سبحانه وتعالى، وأنّ رحمة الله ﷻ قد شملتكم، وأنّكم في حالة انجذاب نحو صراط الله المستقيم.

﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا﴾[1]، ماذا يعني أنّ الله تاب عليهم ليتوبوا؟ ماذا تعني التوبة؟ إنها تعني العودة إلى الله، يعني حصول الميل والرغبة في قلب الإنسان للعودة إلى ربّه، وباب الله مفتوح للعائدين والمنيبين والتائبين. وما لم يحصل من جانب المعشوق جذب تذهب جهود العاشق أدراج الرياح.

ونقرأ في دعاء أبي حمزة الثمالي قوله عليه السلام: «مَعرِفَتي يا مَولايَ دَليلي عَلَيكَ، وَحُبّي لَكَ شَفيعي إلَيكَ، وَأَنَا واثِقٌ مِن دَليلي بِدَلالَتِكَ، وَساكِنٌ مِن شَفيعي إلى شَفاعَتِكَ».

---

١. سورة التوبة: ١١٨

فأنت ياربّ الذي دللتني عليك، وأنت الذي تجذبني إليك، وأنت الذي تهديني إلى طريقك.

وعندما تلاحظون وتشاهدون شبابنا في المساجد وهم يرفعون أيديهم إلى السماء بالدعاء، ويسألون الله العفو والمغفرة والرضوان، فاعلموا إنّما هو لطف من الله ورحمة شملت أُمّتنا، وهذا هو الجذب الإلهي يوجده في قلوب عباده؛ ومن أجل ذلك ورد في الدعاء المأثور: «اللّهُمَّ إِنّي أَسأَلُكَ موجِباتِ رَحمَتِكَ، وَعَزَائِمَ مَغفِرَتِك»[1]، أي أنّنا نسأله سبحانه أن يوجد في أنفسنا موجبات نزول الرحمة الإلهيّة والغفران.

الاستغفار من الذنوب الثلاث: الفردي والتعدي على الغير والجماعي

هناك ثلاثة أنواع يجب الاستغفار منها؛ وهذا ما يهمّنا جميعاً أنا وأنتم، وأنّ الغفلة عنها تسبب خسائر كبرى؛ ثلاثة أقسام من الذنوب: ذنب ينحصر بظلم الإنسان لنفسه وذلك عندما يرتكب الإنسان ذنباً يعود بالضرر على نفسه فقط، وهناك ذنب يعود بالضرر على نفسه وعلى الغير والآخرين، وهذا النوع من الذنوب أكبر، فهو ظلم للنفس وتجاوز على الآخرين؛ ومشكلات هكذا ذنوب أكثر تعقيداً وعلاجها أصعب وأشقّ، من قبيل اغتصاب حقوق الآخرين ومصادرة حقوق الغير والحقوق العامّة، والتجاوز على الحقّ العام، وهو ذنب يتعلّق بالحكومات عادة؛ حيث يرتكب بعض المسؤولين الحكوميين أعمالاً تجاوزية، ويدوسون على الحقوق العامّة، وهذا النوع من الذنوب يبتلي به المسؤولون السياسيّون والشخصيّات التي تعمل في الشأن الدولي، فمن خلال كلامهم ومن خلال توقيعاتهم وقراراتهم يمارسون الظلم بحقّ أفراد المجتمع وبحق الأُمم والشعوب. وهكذا ذنوب لا ترتكب من قبل الناس العاديين، وإذا حصل ذلك ففي نطاق ضيّق ومحدود جدّاً.

---

١. مفاتيح الجنان، تعقيبات صلاة الظهر

وكلّما اتّسعت دائرة المسؤوليّة، واتّسع حجم الذنب الذي يمكن أن يرتكبه المسؤول من خلال قراراته في تعيين الموظّفين غير الكفوئين وغير النزيهين اتسعت دائرة الخراب وذلك من خلال فشلهم الإداري ومن خلال فسادهم يلحقون الضرر بأفراد المجتمع.

وهذا النوع من الذنوب يتطلب استغفاراً مناسباً لحجم الأضرار التي تحدث جرّاء هكذا ذنوب.

إنّ الذنوب من النوع الأوّل يمكن تداركها من خلال الإرادة والعزم على عدم تكرارها، ومن خلال الندم على ارتكابها، ومن خلال الدعاء إلى الله سبحانه وتعالى التوّاب الرحيم.

أمّا النوع الثاني من الذنوب فأمره مختلف، لأنّه لا ينحصر بالطلب من الله سبحانه بالمغفرة، وإنّما يتطلّب إلى جانب ذلك إصلاح الخطأ وإزالة الظلم الذي حّل بالآخرين.

أمّا النوع الثالث فهو الذنوب التي تمارس من قبل الجماعات والمجتمعات. أحياناً تمارس جماعات كبيرة الأمّة ذنوباً تعود بالضرر العام على المجتمع بأسره، وقد تقترف الأُمّة ذنباً كبيراً من خلال سكوتها على الظلم؛ فيعود عليها بالضرر العام ويتغيّر حالها نحو الأسوأ، يقول الله تعالى في محكم كتابة الكريم: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾[1]. وهذا النوع من الذنوب هو الذي يغيّر النعم، وينزل البلاء والنقم على المجتمعات والأُمم.

إنّ الأُمّة التي يشهد أفرادها في قلب العاصمة طهران إعدام عالم دين رباني ومجتهد فاضل كبير في مستوى الشيخ فضل الله نوري[2]، ثم لا ينبس أحده ببنت شفة، وكان ذنبه الوحيد أنّه وقف بوجه الاستعمار الإنجليزي وعملاء الإنجلينز، وطالب

---

١. سورة الرعد: ١١

٢. من قادة حركة المشروطة المعارضين للإنجلينز وأزلامهم

بـ«المشروطة المشروعة» وبتحكيم قوانين الشريعة الإسلاميّة في واقع الحياة.

ومع الأسف ما يزال البعض يطبّل لحركة المشروطة التي كانت توجّه من قبل السفارة البريطانية في طهران؛ فإلى أين انتهى بها الأمر؟ كانت خاتمة المطاف تنصيب رضا خان حاكماً على البلاد، وتفويضه وتفويض أبنائه الذكور شؤون الحكم الذي أفضى إلى قيام النظام البهلوي؛ إنّ ما ارتكب من ذنب لم يكن منحصراً في عّدة أفراد، إنما هو ذنب عام ارتكبته الأُمّة، ولهذا عاد بالضرر على جميع أفراد المجتمع: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾[١]، ذلك أن حركة المشروطة كانت حركة عامّة وإن قام بها جماعات على نحو مباشر، ولكن عموم أفراد الأمّة كان لهم اتّصال غير مباشر فيما كان يجري من حراك.

وبعد نصف قرن تقريباً تحرّكت الأُمّة من جديد ضدّ النظام البهلوي، وواجه أفراد الشعب بنادق ودبابات النظام بصدور عارية، وضربوا بذلك المثل الأعلى في التضحية وحبّ الاستشهاد في سبيل الله.

يعني حصل التغيير في نفوس الأُمّة، ولم تعد تطيق حياة الذلّ والخنوع، يعني التخلّص من درن الذنوب جرّاء السكوت على الظلم، فأثابهم الله سبحانه بإسقاط نظام الظلم والجور؛ وتشكّل نظام شعبي، وتحقّق الاستقلال الحقيقي في واقع الحياة، وانتهى وإلى الأبد عار التبعيّة للأجنبي؛ بعد أن بدأت حركة الاستقلال التي ستستمرّ إلى أن يحقق الشعب أهدافه العليا بتوفيق من الله ﷻ.

وقد وردت مفردة التوبة في القرآن مقرونة بالإصلاح: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا﴾[٢]، ﴿مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾[٣]، وفي مواضع أورد القرآن الكريم مصداق الصلاح

١. سورة الأنفال: ٢٥

٢. سورة البقرة: ١٦٠، سورة النساء: ١٤٦

٣. سورة مريم: ٦٠، سورة طه: ٨٢، سورة قصص: ٦٧

من قبيل قوله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا﴾[١].

في مقابل الأشخاص الذين يكتمون الحقيقة ويتستّرون عليها: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ﴾[٢]، أو من قبيل قوله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ﴾[٣]، بشأن المنافقين الذين كانوا يمارسون النفاق، المتذبذبين في عقيدتهم، فإنّ توبتهم تتحقّق عندما يحدّدون موقفاً ثابتاً إزاء مسألة الإيمان أن يكونوا خالصين في إيمانهم؛ إنّ عليهم أن يتوبوا إلى الله، وأن يثوبوا إلى حالة الوعي والرشاد والإيمان الحقيقي.

خمس نماذج للذنوب المؤثرة على المجتمع

إنّنا جميعاً مذنبون، بل غارقون في الذنوب، فكلّ هذا التقصير وكلّ هذه الانتهاكات، والتقصير في أداء المهامّ؛ كلّ هذا يتطلّب منّا أن نستغفر. إنّ الاستغفار كالنور يبدّد ظلام القلوب، ويشرق في الأذهان، ويجعل من الأرواح شفافة؛ هناك استغفار بيننا وبين الله ﷻ؛ استغفار فردي؛ ولكن لدينا استغفار عام وجماعي؛ ذلك أنّنا مسؤولون في الدولة، إنّ من بين الحضور مسؤولين في النظام، قادة ورؤساء سلطة في الدولة ومدراء كباراً؛ أذكر عناوين خمسة فصول؛ لأنّه لا وقت للتفصيل والشرح؛ إنّما نمرّ عليها مراراً ونشير إليها مجرّد إشارة موجزة:

لدينا مسألة الاختلاف والنزاع؛ إنّ علينا أن نتوب من ذلك، لأنّ النزاع الداخلي معول هدّام؛ مرّة يكون للاختلاف والنزاع منشأ قومي من خلال إثارة الحسّ القومي، أو الحسّ المذهبي الطائفي، أو من خلال تحريك العواطف ذات الصبغة الأهلية، وأحياناً

---

١. سورة البقرة: ١٦٠

٢. سورة البقرة: ١٥٩

٣. سورة النساء: ١٤٦

تكون للنزاعات صبغة سياسية أو صراعات فكريّة، الاختلافات في الفكر أمر لا غبار عليه، ولكن يجب أن يبقى في إطاره وألّا يتطور إلى أبعد من حدوده المنطقية.

إنّ ما نعترض عليه ونعارضه هو أن ينبري بعض الأشخاص للكتابة ضدّ عقائد المجتمع، ويقوم بتشويه الحقائق الموجودة في المجتمع، ويقوم بتشويه التاريخ وتزوير التاريخ الحقيقي، يكتب تاريخاً مزوراً ويحاول طمس الحقيقة.

إنّني لا أعارض أبداً حرّية الرأي، لا مشكلة أبداً في أن يعبّر المرء عن رأيه، إنّني أقف إلى جانب حرّية التعبير بكلّ ما للكمة من معنى؛ ما أقوله هو: إنّ بعض الكلام، إنّ بعض النقاشات ينبغي ألّا تطرح في وسائل الإعلام وعلى عامّة الناس؛ هناك مناقشات تخصصيّة وبحوث يجب أن تجري في نطاق محدود يضمّ المختصّين، فالقضايا الفقهيّة ينبغي تداولها بين عدد من الفقهاء، وقضايا الحقوق بين الحقوقيين، وقضايا الفلسفة بين الفلاسفة؛ وقضايا علم الاجتماع بين المختصّين بهذا العلم وهكذا .أمّا أن يتمّ النقاش أمام الملأ العام حول قضيّة التوحيد، وهي قضية كبرى وأساسيّة ويتمّ الجدل بشأنها بين مؤيّد ومعارض، بين من يثبت ذلك وبين من ينفي؛ فهذا أمر غير مقبول ومرفوض؛ نعم يمكن النقاش حول ذلك في الأوساط العلميّة، لأنّه يتضمن بحوثاً تخصصيّة، وهكذا في قضايا الثورة والقضايا الأساسيّة لنظام الجمهوريّة الإسلاميّة.

إنّنا نحن الذين من طرح شعار الحرّية الفكريّة؛ في البداية انطلق نقاش بين الحوزة والجامعة ودار جدل علمي بين الجانبين، لكن لم تكن له نتائج عمليّة، إنّما يجري بعد ذلك أن يقوم البعض بطرح الأمور على نحو إغوائي، على نحو يكّون له انطباعاً سلبياً معرضاً في أذهان الرأي العام، اعتقد أنّ في هذا خروجاً سافراً على حرّية التعبير عن الرأي خاصّة في بيان المسائل الأساسيّة والقضايا الكبرى.

هناك من يحاول إثارة النزاع الفكري والصراع الفكري من أجل أن يتحوّل إلى نزاع وصراع سياسي يحدث صدعاً بين أركان النظام، لقد حاولوا ذلك على مدى سنوات، وهو العمل على بثّ التفرقة وإثارة النزاع بين أركان نظام الحكم. ومن الواضح أنّه عندما يتمّ التصادم بين المسؤولين الأساسيّين في البلاد، فانّ أحدهما يسعى إلى ضرب الآخر وإزاحته، وتنصبّ جهوده من أجل القضاء عليه، ولهذا السبب تتوقّف عجلة تقدّم البلاد؛ ومن حسن الحظّ أنّ هذه الخطط لم تنطل على بعض المسؤولين، لذلك فوّتوا الفرصة على العدوّ بالرغم من إعداداته وجهوده في هذا المضمار.

المسألة الثانية: الأنانيّة بمعناها الواسع؛ إنّ علينا أن نستغفر الله من هذه الأنانيّة؛ ذلك أنّ الأنانيّة هي النقطة المقابلة والمعاكسة للتوجّه نحو الله. إنّ القلب المصاب بـ«الأنانيّة» يكون عبداً للذات مستغرقاً فيها، وفي نفس الوقت يكون بعيداً عن الله، إن الأنانيّة بهذا المعنى الواسع تعني التعصّب للذّات والتعصّب للحزب والتعصّب للجناح والتعصّب للأقارب والأصدقاء، وامتلاء النفس بالحميّة وبالجاهليّة والروح العصبيّة، ونصب العداء للآخر دون استدلال منطقي وإشعال نار العداء والصراع والخلافات داخل البلد الواحد والمجتمع الواحد، وهذه مغالطة كبيرة وخطيرة.

وإنّه لمن الخطأ الكبير أن ينشأ كلّ هذا النزاع داخل بلادنا وفي أوساطنا السياسيّة بسبب التعصّبات والروح الأنانيّة.

لقد قلت قبل حوالي سبعة أو ثمانية عشر وربّما عشرين عاماً بأنّ هذه الاختلافات والنزاعات بين ما يدعى آنذاك باليسار واليمين، إنّها نزاعات وصراعات لها صبغة عشائرية قبلية، إنها نفس النزاعات التي كانت تحصل قديماً بين القبائل، إنّ علينا ألّا نسمح بوقوعها واستمرارها، أن لا نسمح لهذه الأنانيّة أن تتجذّر في نفوسنا وتفعل فعلها في سلوكنا ومواقفنا.

المسألة الثالثة؛ الغفلة عن الشعب والغفلة عن خدمة الشعب، وإذا ما كانت لدينا في هذا الجانب غفلة فإن علينا أن نلجأ إلى الله ونتوب إليه من هذه الغفلة، إنّ علينا أن نعي ذلك بقلوبنا، وأن نعايش هاجس خدمة الناس في نفوسنا، إنّ علينا ألّا نغفل عن خدمة الناس لحظة واحدة؛ والمسألة الأخرى؛ الغفلة عن مرتكزات ومباني الاقتدار الوطني والدعائم الأساسيّة للاقتدار الوطني، ومن أجل تحقيق الحريّة، ومن أجل بلوغ قمم المعرفة، فإنّه من الضروري أن نكون أقوياء، وأن نكون مقتدرين، وبالرغم من أنّ هذه الأمور في حدّ ذاتها من موجبات الاقتدار؛ إلّا أنّ الأُمّة الضعيفة والأُمّة التي تعيش في حالة التبعية، وتنظر إلى أيدي الآخرين وإلى أفواه الآخرين لا يمكنها أن تبلغ إلى ما تتطلّع إليه من قمم المجد.

إنّ علينا أن نؤمّن اقتدارنا الوطني؛ ولكن كيف يتأتّى لنا ذلك؟ بالعلم وبالأخلاق، وقد تحدّثنا عن موضوع العلم كثيراً؛ بالأخلاق علينا أن نحقّق درجات عالية في الأخلاق؛ إنّ نبيّنا الأكرم ﷺ هو معلّم الأخلاق، وهو الذي رفع راية التهذيب والكمال الأخلاقي، وكانت رسالته أن يتمّم مكارم الأخلاق؛ علينا أن لا نتخلّف عن الركب الأخلاقي، أن لا نكون متخلّفين أخلاقياً؛ في سلوكنا الاجتماعي، في انضباطنا وفي أداء أعمالنا ووظائفنا، أن نكون مرتاحي الضمير في أدائها على أحسن وجه، في تعميق وترسيخ روح التديّن في نفوسنا؛ ومن المؤسف أن يقوم البعض بالإساءة إلى روح التديّن في نفوس شبابنا، ويحاولون إضعاف هذه الروح المتوهّجة من خلال ما يطلقونه من كلام فارغ لا يستند إلى أيّ منطق، ويمارسون ذلك باسم الحريّة؛ إنّ المحافظة على روح التديّن من دعائم الاقتدار الأساسيّة؛ وكذلك الالتزام بالقانون وعدم الغفلة عن القدرات الحقيقيّة الموجودة لدينا، وألّا نتخيّل القوة، ونصوّر ذلك في خيالنا، وبكلمة واحدة يجب أن نكون في كلّ ذلك واقعيين تماماً.

والمسألة الأخيرة هي الغفلة عن العدوّ؛ أنّ الغفلة عن المؤامرات التي يحيكها العدوّ ذنب يجب أن نستغفر الله سبحانه منه وأن نتوب عنه. والتوبة من هذا الذنب تكمن في الوعي واليقظة، أن نعيش في حالة الانتباه، وأن نفتح عيوننا جيّداً. لقد كثر الحديث في الآونة الأخيرة في هذه المسألة، وهي أنّنا نتوهّم وجود من يتآمر علينا، فنتوهّم بأنّه يتآمر وهذه مجرّد أوهام؛ حسناً فهل أنّ في الغفلة عن المؤامرة يعني زوالها؟ اليوم اتّضحت الأمور، وانكشفت الحقائق، وظهر كلّ شيء إلى العلن. بالأمس كان التآمر يجري في الخفاء من خلال الدسائس التي تحاك في السّرّ، أمّا اليوم وفي الوقت الحاضر فقد بات الهجوم على نظام الجمهوريّة الإسلاميّة سافراً، والهجوم على القانون الأساسي (الدستور) يتمّ في العلن وتتعرّض أمّتنا للعدوان ومصالحنا لخطر التآمر؛ إنّ الغفلة عن هذه المؤامرات لن توصلنا إلى برّ الأمان، ولن تجعلنا في أمن من خطر العدوان؛ إنّ علينا أن نكون يقظين أمام العدوّ، وأن نكون في أعلى درجات الوعي لما يحاك لنا من مؤامرات ودسائس، وأن نكون على أتمّ الاستعداد للدفاع عن هويّتنا ووجودنا ومصالحنا.

اللّهمّ نقسم عليك بمحمّد وآل محمّد أن توفّقنا للاستغفار والتوبة.

اللّهمّ نوّر قلوبنا بنور التوبة.

اللّهمّ ادفع عن أمّتنا الإسلاميّة شر الأعداء.

اللّهمّ نسألك العزّة لشعبنا الإيراني.

اللّهمّ احشر شهداءنا مع حبيبيك ورسولك محمّد ﷺ.

اللّهم أسألك أن تزيد الألفة والمحبّة بين قلوب المسؤولين في البلاد.

اللّهمّ وفّق المسؤولين في السلطات الثلاث وأيّدهم بحقّ محمّد وآل محمّد.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

المقالة الثالثة: آثار الذنب

الخطبة الأولى/صلاة الجمعة ● ٨ رمضان المبارك ١٤١٧ (١٩٩٧/١/١٧)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين، أحمده وأستعينه واستمدّ منه وأتوكل عليه، وأُصلّي على حبيبه ونجيبه وخيرته في خلقه وحافظ سرّه ومبلّغ رسالاته، سيّدنا أبي القاسم المصطفى محمّد وعلى آله الأطيبين المنتجبين، الهداة المهديّين المعصومين، سيّما بقيّة الله في الأرضين، وصلّ على أئمّة المسلمين وحماة المستضعفين وهداه المؤمنين.

قال الحكيم في كتابه: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾[1].

إنّ شهر رمضان المبارك هو شهر التوبة والاستغفار والاستغاثة، وأبارك لكم أيّها الأعزّاء وجميع المسلمين في العالم هذا الشهر الكريم.

وإنّني أفتتح الخطبة الأولى ـ التي سأتطرق فيها إلى بعض المواضيع ـ بدعوتكم أيّها المصلّون الأعزّاء إلى التزام تقوى الله ﷻ، فهذا شهر التقوى والصوم وسيلة لتحصيل

---

١. سورة النساء: ١١٠

التقوى، والتقوى ذخر المؤمن في الدنيا والآخرة، الفرد المؤمن والمجتمع المؤمن؛ وإنني أرجو الله سبحانه وتعالى أن يغمرنا جميعاً برحمته، ويوفّقنا لاكتساب التقوى، وأن يوفّق المجتمع الإيراني الكريم لما يحبّ ويرضى.

ورد في دعاء شهر رمضان المبارك هذا الوصف: «وَهذا شَهرُ الإِنَابةِ، وَهذا شَهرُ التَّوبَةِ، وَهذا شَهرُ العِتقِ مِنَ النّارِ». ولذا سأتحدّث في هذه الخطبة عن موضوع الاستغفار؛ إنّ الاستغفار يعني طلب المغفرة والعفو الإلهي عن الذنوب؛ ولو قام المرء بالاستغفار على نحو صائب، فإنّ باب بركات الله سبحانه تنفتح عليه.

الاستغفار وسيلة إلى الألطاف الإلهية

إنّ كلّ ما يحتاج إليه الفرد والمجتمع الإنساني من الألطاف الإلهيّة، ومن التفضّلات الإلهيّة، ومن الهداية والنور الإلهي، ومن توفيق الله سبحانه وتعالى، ومن الظفر في ميادين الحياة المتنوّعة، إنّ كلّ ذلك ينغلق طريقه علينا بسبب الذنوب التي نرتكبها؛ لأنّ الذنوب حجاب يحول بيننا وبين رحمة الله ﷻ، ولا وسيلة لرفع الحجب إلّا الاستغفار والتوبة؛ ذلك أنّ الاستغفار هو الذي يرفع الحجاب، فتسطع أنوار الرحمة الإلهيّة علينا. وهذه هي فائدة الاستغفار؛ ولذا تلاحظون في العديد من آيات القرآن الكريم إشارة إلى أهميّة الاستغفار ودوره في الحياة الإنسانيّة من قبيل قوله تعالى في محكم كتابه العزيز: ﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا﴾[1].

وهناك الكثير من الآيات في هذا المضمار ما يدلّ على أهميّة الاستغفار، وأنّه السبب في نزول الرحمة والبركات الإلهيّة في حياة الفرد والمجتمع. والحقيقة أنّ نفس الاستغفار جزء من التوبة؛ ذلك أنّ التوبة تعني العودة إلى الله ﷻ، وأنّ أحد أركان التوبة هو الاستغفار،

---

١. سورة هود: ٥٢

يعني طلب العفو والغفران من الله ﷻ، وهذا من أكبر النعم الإلهيّة، يعني أنّ الله ﷻ فتح باب التوبة لعبادة الخاطئين من أجل أن يعودوا إليه، ويستأنفوا طريق الكمال، ولا تعرقل الذنوب حركتهم وتعيقهم عن السير في طريق التكامل الإنساني.

الآثار المعنوية للذنوب

إنّ الذنوب تطيح بالإنسان من علياء كرامته؛ وإنّ كلّ خطأ وذنب يقترفه الإنسان هو في الحقيقة ضربة توجه إلى الصميم من الروح، وتعكّر صفاءه ونقاءه، تزلزل شخصيّته الآدميّة، إنّ الذنوب تلوّث نقاء الروح وصفاء القلب، وإنّه لما يميز الإنسان عن سائر الكائنات في هذا العالم المادّي هو شفافية روحه، فإذا تلوّثت الروح بشوائب الذنوب، فانّ الإنسان ينسلخ عن إنسانيّته وآدميّته، ويكون قريباً جداً من البهيميّة. هكذا تفعل الذنوب في حياة الإنسان.

إنّ للذنوب وارتكاب الذنوب دوراً في حياة الإنسان؛ ذلك أنّ الفشل الذي يعتور طريق الإنسان مردّه إلى الذنوب التي يقترفها، فالذنوب والخطايا تلقي بظلالها السلبيّة على حياة الإنسان وتعيق حركته وسيره، طبعاً أنّ لهذا مبرّراته العلميّة والفلسفيّة، وليس مجردّ التعبّد.. أجل إنّ لهذا مبرّراته العلميّة والنفسيّة؛ كيف يقعد الذنب بحياة الإنسان ويفشل حركته؟ على سبيل المثال ما حصل في معركة أحد، لقد انتصر المسلمون في البداية انتصاراً باهراً، وراحوا يطاردون فلول المشركين؛ ولكنّ الرماة المرابطين في الجبل عصوا الرسول الأكرم ﷺ، وتركوا الجبل طمعاً في الأسلاب والغنائم، فانكشفت مؤخرة جيش الإسلام، وقام المشركون بحركة التفاف قويّة حوّلت نصر المسلمين إلى هزيمة ساحقة، واستشهد أثر ذلك العشرات من جنود الإسلام.

في سورة آل عمران آيات عديدة تحدّثت عمّا جرى في أُحد، لقد هزّت حوادث

معركة أُحد نفوسهم بقوّة، وقد كلّفتهم الهزيمة ثمناً غالياً، وكانت الآيات القرآنية تهدّئهم وتسكّنهم وتهديهم وتبيّن لهم ما وراء هذه الحادثة المريرة، على أن تصل بهم إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا﴾[1]، وتشير الآية إلى أنّ الذين فعلوا ذلك إنّما استزلهم الشيطان ببعض ما قاموا به من أعمال من قبل حدوث المعركة، يعني ارتكابهم الذنوب فظهرت آثارها في جبهة القتال، وهكذا فانّ الذنوب التي يقترفها المجتمع تظهر آثارها في المجال العسكري، وفي المجال السياسي، وفي مواجهة العدوّ، وفي مجال التربية والتعليم، وفي مجال البناء؛ وفي المجالات التي يتطلّب وجود الاستقامة فيها ويتطلّب فهمها وإدراكها، وفي المجالات التي ينبغي أن يكون الإنسان كالفولاذ في قوّته وحركته وصلابته، هنا يأتي دور الذنوب وتظهر آثارها؛ طبعاً إنّ المراد الذنوب التي لم يتب الإنسان منها توبة نصوحاً ولم يستغفر منها استغفاراً حقيقياً.

وفي نفس هذه السورة المباركة (آل عمران) آية أُخرى تتحدّث عن نفس هذا المعنى وعلى نحو آخر، وهو عندما يقول القرآن الكريم حسناً ليس الأمر عجيباً أن يكون مآلكم الانكسار في جبهات الحرب، فهذه أُمور تحدث وقد حدثت في الماضي، قال تعالى: ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا﴾[2].

إنّ ما حدث في معركة أُحد من هزيمتكم بحيث تزلزلتم وشعرتم بالحزن الشديد لما أصابكم، وشعرتم بالضعف والهوان واليأس بسبب الخسائر في الأرواح، إنّ كلّ ما حصل كان بسبب الذنوب.

---

١. سورة آل عمران: ١٥٥

٢. سورة آل عمران: ١٤٦

وقد كان أصحاب الأنبياء فيما مضى عندما يجري عليهم ما جرى عليكم، كانوا يقولون: ﴿مَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَ إِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا﴾[1].

كانوا يتوجّهون إلى الله سبحانه طالبين العفو والمغفرة من الذنوب التي ارتكبوها وسبّبت لهم هذه المشكلات، لقد انتبهوا إلى أنّ ما أصابهم كان بسبب الذنوب وبسبب الإسراف في أُمورهم.

لاحظوا إذن أنّ الذنوب التي يرتكبها الإنسان إنّما هي ناجمة عن الاستجابة للشهوة، وعن حبّ الدنيا، وعن الطمع والحرص على المال والثروة، والالتصاق بالمناصب، والإخلاد إلى الحياة الدنيويّة، وعن البخل، وعن الحسد والعصبيّة.

إنّ للذنوب المختلفة نوعين من التأثير في وجود الإنسان؛ الأثر الأوّل أثر معنوي وروحي، حيث تفقد الروح شفّافيّتها، وتتراجع حياة الإنسان معنوياً، وتنغلق أبواب الرحمة الإلهيّة بوجه الإنسان؛ والأثر الثاني يظهر في ميدان الجهاد والصراع الاجتماعي وحركة الحياة عندما يكون المرء بحاجة إلى العمل الجادّ والمقاومة وإظهار اقتدار الإرادة الإنسانيّة، هنا يظهر أثر الذنوب، وإذا ما انتفى العامل الآخر الذي يعوّض ذلك فإنّ مصير الإنسان سيكون السقوط؛ فربما توجد صفة جيّدة في الإنسان تعوّض عليه ما تسبّبه الذنوب من الخسائر وتنقذه من خطر السقوط؛ إنّنا نتحدّث عن الذنوب بنفسها وآثارها.

الاستغفار نعمة إلهية لمحو الذنوب

إنّ الله سبحانه وتعالى وهب الإنسان نعمة كبرى، ألا وهي نعمة الغفران؛ يعني أنّ الإنسان عندما يرتكب الذنب فإن أثره يبقى في نفسه، فالمكروب عندما يتسلّل إلى

---

١. سورة آل عمران: ١٤٧

جسم الإنسان فانّه يمرض، الذنب مثل المكروب، وعندما يتعرّض جسم الإنسان لجرح فانّه يترك أثره، وهذا أمر حتمي لا مناص منه؛ وهكذا عندما يتعرّض الإنسان لضربة، وفي هذه الحالة فإنّ الله ﷻ فتح باباً لعباده؛ وهذا الباب هو التوبة وباب الاستغفار وباب الإنابة والعودة إلى الله ﷻ، فإذا عاد الإنسان إلى رشده فانّ الله سبحانه يغفر ذنبه ويعفو عنه ويصفح؛ وهذه نعمة كبرى أنعم الله سبحانه وتعالى بها على عباده.

جاء في دعاء شهر رمضان المبارك وهو الدعاء الخامس والأربعون في الصحيفة السجّاديّة قول الإمام زين العابدين ﷺ يخاطب الذات الربوبيّة المقدّسة: «أَنْتَ الَّذي فَتَحتَ لِعِبادِكَ باباً إِلى عَفوِكَ وَسَمَّيتَهُ التَّوبَةَ»، وجعلت على ذلك الباب دليلاً من وحيك لئلّا يضلّوا عنه. وهذا الدليل من القرآن الكريم حتّى لا يضيع. «فَما عُذرُ مَن أَغفَلَ دُخولَ ذلِكَ المَنزِلَ بَعدَ فَتحِ البَابَ وَإِقامَةِ الدَّليلِ».

ترى ماذا سيكون عذر الإنسان الذي يغفل عن دخول الباب وقد قام الدليل؟! ما هو عذر الإنسان الذي يذنب ثمّ لا يستغفر من ذنبه ويتوب ويثوب إلى رشده؟!

هنالك حديث ورد عن النبّي الأكرم ﷺ وقد سجّلته وهذا الحديث يقول: «إِنَّ اللهَ تَعالى يَغفِرُ لِلمُذنِبينَ إِلّا مَن لا يُريدُ أن يُغفَرَ لَهُ. ووفقاً للرواية أن بعض الصحابة قالوا: يا رَسولَ اللهِ مَنِ الَّذي لا يُريدُ أن يُغفَرَ لَهُ؟ قالَ ﷺ: مَن لا يَستَغفِر»[1]، إذن فإنّ الاستغفار مفتاح التوبة.

وهنا أذكر بعض النقاط في هذا المجال قد تكون إن شاء الله تعالى وسيلة في هذا الشهر المبارك، شهر التوبة والرحمة والمغفرة للعودة إلى الله ﷻ، والاستفادة من فتح أبواب الرحمة الإلهيّة، وفي هذا لنا مكسب في الدنيا والآخرة وفيه تقدّم بلادنا في جميع الميادين المختلفة.

---

١. مستدرك الوسائل، باب جهاد النفس، باب وجوب الاستغفار من الذنب

المانع الأول للاستغفار: الغفلة

أوّلاً أنّنا إذا أردنا أن نستغفر، وأن نتمتّع بهذه النعمة الإلهيّة علينا أن نبعد عن أنفسنا خصلتين؛ الأولى: الغفلة والثانية: الغرور؛ والغفلة غياب اليقظة غياباً تامًّا؛ يعني أنّ الإنسان يرتكب الذنوب ولا يعي أنّه يرتكبها، مثل بعض الناس، سواء كانت تلك الحالة لديهم شديدة أو قليلة، وتتفاوت نسبة هؤلاء الأشخاص في المجتمعات، في بعضها نسبة قليلة وفي بعضها كثيرة؛ وعلى أيّة حال هؤلاء الأشخاص موجودون وغارقون في عالم الدنيا وتوجّهاتها الماديّة، فهم يكذبون ويتأمرون ويمارسون الغيبة، ويلحقون الأضرار بالآخرين، ويتسبّبون بالشرور لهم؛ يحطّمون ويقتلون، ويحيكون الدسائس للإيقاع بالأبرياء، وعلى نطاق أوسع وأخطر هناك من يسعى إلى التآمر والإضرار باستقلال الدول وأمن الشعوب، ويشعلون نيران الحروب، ويوقدون نار الفتن؛ يمارسون كلّ ذلك من دون أن يرفّ لهم جفن، بل أنّهم يمارسون ذلك على نحو عادي وطبيعي، وعندما يواجههم أحد بذلك فانّهم يضحكون ويقهقهون قائلين بكلّ سخريّة واستهزاء: ذنوب ماهي الذنوب ؟! ماذا يعني ذلك؟!

بعض هؤلاء الغافلين لا يعتقدون أساساً مسألة الثواب والعقاب الأُخروي؛ وبعضهم يعتقدون ذلك، ولكنّهم مستغرقون في مستنقع الغفلة، ولا يعون تماماً ماذا يفعلون.

إنّنا لو دقّقنا النظر في حياتنا اليوميّة لوجدنا أنفسنا أحياناً نعيش في حالة الغفلة ونتصرّف كالغافلين؛ إنّ الغفلة لأمر عجيب حقًّا!! وإنها لخطر كبير جدًّا، ولعلّه لا يوجد خطر أكثر من الغفلة، ولا عدو أخطر من الغفلة يتهدّد حياة الإنسان ومصيره.

إنّ الإنسان الغافل لا يفكّر في مسألة الاستغفار أبداً، إنّه لا يتذكّر هذه المسألة على الإطلاق، ولا يعي أبداً أنّه يرتكب الذنوب في مسار حياته، إنّه غارق تماماً في المعاصي، كأنّه سكران، وغارق في نوم عميق تماماً كما لو أنّ المرء يقوم في نومه بحركة

ما، ولذا فانّ أهل السير والسلوك الأخلاقي؛ ولدى بيانهم منازل السالكين في مسلك الأخلاق وتهذيب النفس؛ يطلقون على الإنسان الذي يريد أن يغادر الغفلة اسم «منزل اليقظة» أو الصحوة.

وفي الاصطلاحات القرآنية فإنّ الشيء الذي يقع في النقطة المعاكسة للغفلة هي التقوى؛ فالتقوى تعني اليقظة والوعي ومراقبة السلوك باستمرار؛ فالإنسان الغافل يرتكب عشرات الذنوب ولا يعي أنّه يفعل ذلك؛ أمّا الإنسان المتّقي فانّه يقف في الجانب المقابل تماماً، فعندما يرتكب ذنباً صغيراً فانه ينتبه فوراً ويتذكّر فوراً ويعي أنّه قد اقترف سيّئة، لذا فانّه يستغفر الله حالاً، ويشعر بالندم العميق، ويتّخذ قراره بسرعة في العودة إلى الله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا﴾[1]، فما إن يخطف الشيطان، ويلقي بظلاله القاتمة على الإنسان المتّقي انتبه فوراً إلى ذلك، وعاد إلى حالة اليقظة والوعي، فإذا هم مبصرون: سرعان ما يبصر الحقيقة لقد مسّه طائف من الشيطان، وعليه أن يستغفر الله ويعود إليه. إنّ الغفلة من أكبر الموانع التي تحول المرء والاستغفار والتوبة.

انتبهوا يا أعزائي يا أخوتي وأخواتي جميعاً إنّ هذا الخطاب لا يختصّ بفئة دون فئة ولا بشريحة دون أخرى، لا يختصّ بالمتعلّمين ولا بالأميين، لا بالشباب وحدهم ولا بالصغار، كلا إنّه يخصّ الجميع بما في ذلك العلماء الكبار والأساتذة والمفكّرين والشخصيّات البارزة الأثرياء والفقراء، نعم الجميع علينا أن ننتبه جميعاً إلى مسألة الغفلة، بحيث نرتكب الذنوب ولا نعي أنّنا نفعل ذلك، وفي هذا خطر كبير.

إنّ ما نقوم به من أعمال سيّئة وما نقترفه من الذنوب، ثم لا ننتبه إلى ذلك ولا نعي أنّنا نرتكب الذنوب ولا نستغفر منها، ثمّ يوم القيامة تنفتح أبصارنا على الحقيقة،

---

١. سورة الأعراف: ٢٠١

فنرى في صحائف أعمالنا العجب العجاب، فيتساءل المرء بحيرة: كم هي ذنوبي؟ متى ارتكبتها؟! هذا ما تفعله الغفلة في حياتنا ومصائرنا، إنها حجاب كثيف يحول بين المرء والاستغفار والتوبة.

المانع الثاني للاستغفار: الغرور

المسألة الثانية: الغرور أو الاغترار، يقوم المرء بعمل (إيجابي) ما فيصيبه الغرور، وجاء في نصوص الأدعية «الاغترار بالله» في الصحيفة السجّاديّة، في الدعاء السادس والأربعين الذي يقرأ في أيّام الجمعة عبارة مزلزلة للغاية: «وَالشَّقاءُ الأَشقى لِمَنِ اغتَرَّ بِكَ، ما أَكثَرَ تَصَرُّفَهُ في عَذابِكَ، وَما أَطوَلَ تَرَدُّدَهُ في عِقابِكَ، وَما أَبعَدَ غَايَتَهُ مِنَ الفَرَجِ، وَما أَقنَطَهُ مِن سُهولَةِ المَخرَجِ»، لماذا يكون مصيره هكذا؟ لأنّه عندما صلّى ركعتين مثلاً أو قام بعمل إيجابي أصابه الغرور، ولم تعد تساوره المخاوف! لأنّه اغترّ بعمله، اغترّ بما قام به من خدمة للناس أو تقديمه المساعدة المالية إلى المحتاجين، لهذا فهو يستصغر بعض الذنوب؛ لذا يجب الانتباه دائماً إلى أنّ الذنوب تفعل فعلها المدمّر في حياة الإنسان، إنّها تلقي به في التهلكة، إنّها تجعله ينسلخ من آدميّته وإنسانيّته فيتحوّل إلى حيوان مفترس! هكذا تفعل الذنوب في وجود الإنسان.

إنّ الكذب والغيبة وانتهاك الكرامة الإنسانيّة والظلم ولو على مستوى ضئيل، إنّ كلّ ذلك ذنب عظيم.

ليس من اللازم أن يشعر الإنسان بالذنب، إن يتمادى سنيناً طويلة في ارتكاب الذنوب، حتّى لو ارتكب الإنسان ذنباً واحداً، فانّه يتوجّب عيه ألّا يستصغر ذلك الذنب، فقد جاء في الروايات في باب «استحقار الذنوب» ذمّ لهذه الحالة، وهي أن يستصغر الإنسان ذنبه؛ فالذنب ذنب حتّى لو كان صغيراً، ولأنّ التوبة تعني العودة

إلى الله عزّوجلّ، لهذا فانّ الذنب يُبعد الإنسان عن الله؛ ومع ذلك فانّ ذكر الله يحظى بالأهميّة الكبرى، لأنّه يخلّص الإنسان من تبعات الذنب، التي هي حالة مرضية؛ يقوم الاستغفار بعلاج هذه الحالة؛ إنّ بعض الذنوب تأتي من حالة الاغترار التي تصيب الإنسان وتثنيه عن الاستغفار.

وفي دعاء آخر من الصحيفة يقول الإمام عليه السلام: «فَأَمّا أَنتَ يا إِلهَي فَأَهلٌ أَن لا يَغتَرَّ بِكَ الصِّدّيقونَ»[1]، فياله من بيان رائع، ويا لها من معرفة بالله العظيم! فحتى الصدّيقون الذين بلغوا الذروة بما وصلوا إليه من الدرجات السامية، ويتصوّروا أنّهم لم يعودوا بحاجة إلى السعي والمثابرة؛ كلاّ، لأنَّ هذه التصوّرات تحول بينهم وبين الاستغفار؛ إنّ كلّ أشكال الاغترار بالله تنطوي تحت عنوان الغفلة، وهو خداع للنفس وإعجاب بالذات.

شرائط الاستغفار الحقيقي

النقطة الأخرى هي أنّ الاستغفار الذي يحلّ المعضلات هو عبارة عن الاستغفار الحقيقي الجادّ؛ لنفترض أنّ أحدهم عرضت له مشكلة وقد سلك الطرق العادية لحلّها، فراح يتضرّع إلى الله سبحانه لحلّها؛ مثلاً يصاب أحد أعزائكم بمرض وتشرّف هو بحجّ بيت الله الحرام؛ ترى كيف سيكون دعاؤه وهو يقف في رحاب الله أمام الكعبة الشريفة؟ كيف سيكون دعاؤه لشفاء عزيزه من المرض؟ هكذا يجب أن يكون دعاء الإنسان في الاستغفار من الذنوب.

طبعاً من الممكن ان يقرّر الإنسان ألّا يرتكب ذنباً؛ ثمّ ينزلق في الطريق ويقترف الخطيئة، ثمّ يتوب بعد ذلك، يفعل ذلك مئة مرّة ثم يتوب فانّه يجد باب التوبة

---

١. الصحيفة السجادية، الدعاء التاسع والثلاثون، طلب العفو والرحمة

مفتوحاً، ولكنّ المرء الذي يتوب، ويستغفر ينبغي عليه أن يقرّر ذلك من البداية، لا ينبغي على المرء أن يكرّر الخطأ باستمرار، فهذا أمر غير صحيح.

ثمّة رواية أتصوّر أنّها واردة عن الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام أو جدّه الإمام جعفر الصادق عليه السلام، جاء فيها: «مَنِ استَغفَرَ بِلِسانِهِ وَلَم يَندَم بِقَلبِهِ فَقَدِ استَهزَأَ بِنَفسِهِ»[1].

إنّ الاستغفار في الحقيقة يجب أن ينطوي على حالة من الندم، هذا هو جوهر الاستغفار، والحقيقة أنّ الاستغفار اللساني بعيداً عن حالة الندم ومشاعر الندم، إنّ هكذا استغفار مجرّد سخرية من النفس؛ إنّ على الإنسان أن يطلب المغفرة بشكل جادّ، وأن يقرّر عدم تكرار الذنب؛ وإلّا فإنَّ الاستغفار بالسبحة مجرّد لقلقة لسان، إذا كان القلب يموج بالرغبة لارتكاب الذنب.

ما هذا الاستغفار الذي لا يتجاوز اللسان وينفذ في القلب؟!

الاستغفار الجماعي

إنَّ الاستغفار في حقيقته يشمل الجميع، حتّى الأنبياء يجب عليهم الاستغفار: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾[2]

الاستغفار إمّا أن يكون من ذنوب ارتكبناها أو من الذنوب الأخلاقية، نفترض أنّنا لم نرتكب ذنوباً على الاطلاق؛ طبعاً هذا النوع من الناس ضئل جدًّا، لا يكذبون ولا يغتابون ولا يظلمون، ولا يتجاوزون على حقوق الآخرين، ولا يعتدون على ممتلكات الآخرين، لا توجد في صحيفة أعمالهم ذنوب من هذا النوع؛ ذنوب من «الجوارح» ولكن لديهم ذنوب من «الجوانح» ذنوب أخلاقيّة إنّ الإنسان الذي يتصوّر نفسه

---

١. بحار الأنوار، كتاب الروضة، أبواب المواعظ، باب مواعظ الإمام الرضا عليه السلام، حديث ١١

٢. سورة الفتح: ٢

بأنّه لم يذنب ولم يرتكب معصية، عندما يمشي بين الناس وينظر إليهم ويقول في نفسه: مساكين هؤلاء الناس إنّهم يرتكبون الذنوب، أمّا أنا والحمد لله لست مثلهم؛ وهكذا يتصوّر نفسه بأنّه أفضل من الآخرين فيتعالى عليهم، أو يكون مبتلى ببعض الصفات مثل الحسد والطمع والعجب بالنفس وأمثال ذلك؛ إنّ هذه الأمور يجب الاستغفار منها.

ولو افترضنا خلوّ الإنسان من هذا؛ فإنّ في باب علم التوحيد والمعرفة بالله ﷻ، وهو باب لا تحدّه حدود وطريق ليست له نهاية، حيث الأنبياء والأولياء مستغرقون في السير قدماً نحو ذري التكامل الإنساني من خلال تنمية المعرفة بالله ﷻ وصفاته الكماليّة المطلقة؛ إن عدم التقدّم في هذا المضمار هو قور وتخلّف، هو عجز معنوي يتطلّب الاستغفار.

الاستغفار لازم للجميع؛ ولذا نلاحظ الأئمّة الأطهار كيف يدعون الله سبحانه بحرقة وتضرّع؛ يتصّور البعض أنَّ الإمام السجّاد وهو يدعو الله بهذه الحرقة وبهذه الدموع إنّما يفعل ذلك ليعلّم الآخرين. نعم في هذا جانب تعليمي في الأسلوب والمضمون، ولكنّ أصل المسألة أنّ الدعاء نابع من أعماقه، نابع من نفس ذلك الإنسان الكريم والعبد الصالح، إنّه نابع من أعماق الإمام التي تضطرم بشعلة الحقيقة بوهج الحقيقة؛ إنّ هذا التضرّع نابع من أعماقه من الصميم، إنّه مستغرق في خشية الله، مستغرق في التقرّب من الله ﷻ والرغبة العارمة في تحقيق الرضوان الإلهي؛ لقد تسامى في معرفة الله سبحانه وتعالى، فجاءت أدعيته على هذا النحو الذي يذيب الصخر.

من الممكن أن يكون هناك اهتمام بالمباحات؛ هناك الكثير من المباحات في الحياة؛ لذائذ مباحة، أعماله مباحة، إنّه هذه الأمور لدى الإنسان الذي بلغ الدرجات الرفيعة تعدّ حالة من السقوط والانحطاط؛ ذلك إنّ جلّ اهتمامه أن لا يكون محصوراً

في ضرورات الحياة المادّية والجسمية، لذلك فهو لا يأبه حتّى للمباحات، فهمّه الدائم السير في ذلك الوادي اللانهائي نحو غايته في تحقيق الرضا الإلهي وفردوس المعرفة الإلهيّة، لهذا فهو دائم الاستغفار، إذن فإنَّ الاستغفار يشمل الجميع.

هذه مقتطفات حول الاستغفار بمناسبة شهر رمضان المبارك؛ إيّها الأعزّاء اغتنموا هذا الشهر المبارك من أجل الاستغفار، اطلبوا من الله ﷻ المغفرة.

إنَّ أُمّتنا وهي تعيش من خلال روح التضحية والفداء، بشبّانها وسموّ أخلاقهم، الذين ينعدم وجود من يضاهيهم لدى الأُمم الأخرى بهذه الأعداد الكبيرة بنسائها ورجالها؛ فانّ كلّ ذلك بسبب سيرهم في طريق التكامل الروحي فغمرتهم رحمة الله؛ ولذا على الجميع أن يستغفروا الله سبحانه وتعالى.

على أهل العبادة والمستغرقين في عبادة الله ﷻ وعلى الذين يقتصرون في عبادتهم على الفرائض وعلى الذين يتركون أحياناً أداء الفرائض، على الجميع أن يعزّزوا علاقتهم بالله ﷻ من خلال الاستغفار؛ من خلال طلب العفو والمغفرة، من أجل أن يشرق اللطف الإلهي من القلوب والنفوس. أختم كلامي بهذا الدعاء:

نسألك اللّهمّ وندعوك باسمك العظيم الأعظم الأعزّ الأجلّ الأكرم، وبحرمة أسمائك، وبحرمة أوليائك، يا الله يا الله يا الله!

اللّهمّ اجعلنا من صالحي عبادك.

اللّهمّ وفّقنا للتوبة والعودة إليك، وأن ندرك المعنى الحقيقي للاستغفار.

اللّهمّ لتسطع أنوار لطفك أُمتنا.

اللّهمّ اغفر لنا قصورنا وتقصيرنا وإسرافنا.

اللّهمّ بحرمة أوليائك وبحرمة قلوب عبادك الصالحين اغفر لنا جهلنا وخطايانا.

اللّهمّ ارزقنا المعرفة بك والسير في الطريق إليك.

اللّهمّ انصرنا على أعدائك أعداء الإسلام، اللّهمّ ردّ كيدهم إلى نحورهم.
اللّهم وفّق هذه الأمة في كلّ الميادين.
اللّهم وفّقنا للأنس بالقرآن الكريم وإدراك معارفه السامية في هذا الشهر الكريم.
اللّهمّ ارحم شهداءنا الكرام، وتفضّل عليهم بالمغفرة والرضوان.

المقالة الرابعة: ليلة القدر، فرصة الاستغفار الكبرى

الخطبة الأولى/صلاة الجمعة • ١٧ رمضان المبارك ١٤١٨ (١٦/١/١٩٩٨م)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين، نحمده ونستعينه ونتوكّل عليه ونؤمن به وسنتغفره، ونصلّي ونسلّم على حبيبه ونجيبه وخيرته في خلقه، حافظ سرّه ومبلّغ رسالاته، بشير برحمته ونذير بنقمته، سيّدنا ونبيّنا وحبيب قلوبنا أبي القاسم المصطفى محمّد وعلى آلة الأطيبين الأطهرين المنتجبين المعصومين، سيّما بقيّة الله في الأرضين، اللّهمّ وصلّ على أئمّة المسلمين وحُماة المستضعفين وهداة المؤمنين.

أُوصي جميع الأخوة والأخوات المؤمنين والمؤمنات في هذه الساعات والأيّام والليالي المباركة باغتنام الفرصة والاستفادة من بركات هذا الشهر الكريم، شهر نزول البركات من لدن الله تبارك وتعالى، أُوصيكم ونفسي بتقوى الله تعالى ومراقبة النفس، وأن نجعل الله سبحانه نصب العين في سلوكنا وكلامنا، وأن ننتبه إلى الأشواك والمزالق في طريقنا، والتزام الاستقامة في المواطن والمنعطفات المزلزلة في مسار حياتنا الفرديّة والاجتماعيّة، والتزام الوسائل التي وهبها الله لنا من اجل العبور واجتياز المنزلقات

والوصول إلى الغاية والهدف؛ وهذه هي التقوى، وطالما سمعتم أنّ شهر رمضان المبارك والصوم في هذا الشهر ينمّي في النفوس حالة التقوى: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[١]

وعندما نلاحظ الأعمال التي يدعو الشارع المقدّس المسلمين إلى القيام بها في شهر رمضان المبارك من تلاوة الكتاب العزيز، القرآن المجيد، وقراءة الأدعية المأثورة، والتضّرع إلى الله ﷻ، والاستغفار الذي هو عنصر مهمّ جدًّا، ندرك أهمّيّة الاستغفار، وطلب المغفرة من الله تبارك وتعالى من كلّ قصور ومن كلّ جهل ومن كلّ تقصير بدر منّا.

في مثل هذه الأيّام المباركة في العام الماضي كنت قد تحدّثت بالتفصيل عن موضوع التوبة والاستغفار، واليوم لا أُريد أن أكرّر ما قلته حول الاستغفار في العام الماضي كبحث فكري أو بحث قرآني وحديثي، إنّما أُريد أن نستذكر بعض ما تحدّثنا عنه حول الاستغفار بمناسبة اقتراب ليالي القدر المباركة الفائقة الأهمّيّة.

استغفار أولياء الله

أيها الأعزّاء! أخوتي وأخواتي! إنّ الخطوة الأولى هي طلب الغفران من الله تبارك وتعالى والعودة إلى الله ﷻ؛ أينما كنتم وتكونون، وفي أيّ مستوى من الكمال بلغتموه حتّى لو كنتم على مستوى الإمام أمير المؤمنين علي ﷺ، فانّكم بحاجة ماسّة إلى الاستغفار؛ إنّ الله ﷻ يخاطب نبيه وحبيبه محمّدًّ قائلاً: ﴿وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ﴾[٢]، ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ﴾[٣]

وفي كثير من الآيات القرآنية يأمر الله سبحانه أنبياءه الكرام بالاستغفار، طبعاً أنّ

١. سورة البقرة: ١٨٣

٢. سورة محمد: ١٩

٣. سورة النصر: ٣

استغفار الأولياء والأنبياء موضوع قابل للبحث والتحقيق، إنّ استغفار الأنبياء ليس من الذنوب التي يرتكبها أمثالنا، إنّ الأنبياء يتمتّعون بالعصمة، وقد بلغوا الدرجات العلي في سلّم القرب الإلهي؛ فهناك أشياء هي بالنسبة لنا جزءٌ من المباحات وربما تكون من المستحبّات، وهي بالنسبة إلى نبيّنا الكريم ﷺ تعدّ من الموانع، لأنّها لا تتناسب مع مقامه الرفيع في القرب من الله سبحانه وتعالى، ولذا فهو يستغفر الله من ذلك استغفاراً جاداً وليس استغفاراً شكليًّا وصوريًّا .

وعندما نتأمّل في دعاء كميل نلاحظ أنّ الإمام أمير المؤمنين عليه السلام يفتتح دعاءه بالاستغفار، فهو يقسم على الله عزّ وجلّ باسمه وبقدرته وبعظمته وبصفات جلاله وجماله، وبعد هذه السلسلة العظيمة من القسم يقول عليه السلام: «اَللّٰهُمَّ اغْفِرْ لِي الذُّنُوبَ الَّتِي تَهْتِكُ الْعِصَمَ»، وهكذا في دعاء أبي حمزة الثمالي والأدعية الأُخرى الصادرة عن أئمّة أهل البيت عليهم السلام.

أنا وإيّاكم بحاجة إلى الاستغفار! أيّها المؤمنون الأعزّاء يا أهل القلوب الصافية النقيّة الطاهرة لا تغترّوا بطاعتكم، ولا تقولوا في نفسكم: إنّنا لم نرتكب الذنوب، نحن في مأمن، كلّا نحن غارقون في التقصير والقصور! «وَما قَدرُ أَعمالِنا في جَنبِ نِعَمِكَ»[1].

إنّ ما نقوم به من أعمال صالحة لا تساوي شيئاً في مقابل النعم التي أنعم الله بها علينا، والتي لا يمكن إحصاؤها والتي تستوجب الشكر إلّا أنَّ الإنسان لا يمكنه أن يقوم بذلك أبداً، بل أنّ شكرنا لله هو نعمة من الله تستوجب الشكر أيضاً «لَا الَّذي أَحسَنَ استَغنى عَن عَونِكَ»، وهل يمكن أن يستغني عن الله عزّ وجلّ وهو الفقير المطلق المحتاج دائماً وفي كلّ لحظة ـ إلى الغني الحميد الذي ينزل خيره إلينا على الدوام: «خَيرُكَ إِلَينا نازِلٌ».

---

١. مفاتيح الجنان، دعاء أبو حمزة الثمالي

إنّنا عاجزون تماماً عن شكر الله وفي هذا قصور وتقصير وعلى كلّ حال، فإنَّ الاستغفار مطلوب من الجميع وواجب على الجميع.

ليلة القدر هي فرصة الاستغفار

إنّ ليلة القدر فرصة كبرى لطلب المغفرة والاعتذار إلى الله عزّوجلّ؛ اعتذروا لله سبحانه وتعالى، وقد منحنا الله فرصة للاعتذار والاستغفار والتوبة والعودة إلى طريق الرشاد؛ اطلبوا من الله الغفران من قبل أن يأتي يوم يخاطب فيه الله تبارك وتعالى المجرمين: ﴿وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ﴾[١]، لن يجدوا يومئذٍ فرصة للاعتذار، لا توجد في يوم القيامة فرصة لكي يعتذر المجرمون، سوف تنعقد ألسنتهم ولا يستطيعون الاعتذار.

الفرصة متاحة اليوم للجميع لكي يعتذروا ويستغفروا ويغتسلوا من الذنوب، فتسطع القلوب بالنور، وتتنزل الرحمة الإلهيّة.

مدّوا أكفكم إلى الله وتوبوا، ولا تنسوا الله فينساكم الله، ويأتي النداء يوم القيامة: ﴿إِنَّا نَسِينَاكُمْ﴾[٢] كما نسيتم لقاء هذا اليوم.

إن الله سبحانه وهبنا فرصة في هذه الحياة لكي نتضرّع إليه، ونذرف دموع الندم على ما بدر منّا من الذنوب من قبل أن يأتي يوم لا ينفع فيه الندم ولا الصراخ: ﴿لَا تَجْأَرُوا الْيَوْمَ إِنَّكُمْ مِنَّا لَا تُنْصَرُونَ﴾[٣]، واغتنموا هذه الفرصة؛ فرصة الحياة الدنيا، واغتنموا الأيّام المباركة في شهر رمضان المبارك وليالي القدر العظيمة وخاصّة الليالي الثلاث، أو ليلتي الحادي والعشرين والثالث والعشرين من هذا الشهر المبارك.

---

١. سورة المرسلات: ٣٦

٢. سورة السجدة: ١٤

٣. سورة المؤمنون: ٦٥

وقد جاء في مرويّات[١] المحدّث القمّي رحمه الله، أنّه سئل عن ليلة القدر: هل هي ليلة الحادي والعشرين أم الثالث والعشرين؟ فقال في معرض الجواب: لماذا يدقّق المرء في ذلك؟ وكم تستغرق من الوقت هذه الليالي؟ إنّ هناك من يتعبد في تمام الشهر المبارك كما لو أنّ كلّ لياليه ليالي القدر؛ إنّ علينا أن نعرف قدر ليالي القدر وقدر ليالي الشهر كلّها.

الآثار الاجتماعية للاستغفار

إنّ الأمّة التي تتطلّع إلى الله ﷻ وتعبد الله وتسجد لله في بيوت الله، وتسلّم أمورها إلى الله سبحانه وتعالى، وتصدق في علاقتها بالله سبحانه وتعالى هي أُمّة موفّقة دائماً، وتعيش مرفوعة الهامة عزيزة قويّة، لا يستطيع العدوّ مهما بلغ من قدرة وكيد أن يقهرها، أمّة ثابتة متآلفة؛ لأنّ الله سبحانه هو الذي يؤلّف بين القلوب. إن كلّ ما يعتري الأُمّة من بؤس وحرمان ﴿فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾[٢]، إنّ الذنوب والغفلة تجرّ على الناس الشقاء، وبالعكس فإنّ الطاعة والتسليم لله وعمل الصالحات يعود بالسعادة والخير والرخاء والحياة الكريمة الطيّبة؛ لنلجأ إلى الله ونلوذ به، ونطلب منه أن نعمل في سبيله ونسير في طريقه ونعمر قلوبنا بذكره. وعندما تصفو قلوبنا، وعندما تتحرّر قلوبنا من أسر الدنيا ومطامعها؛ فإنّ النور يغمر أُمّتنا ويصفو مجتمعنا ويتحرّك الناس من أجل إعمار دنياهم وآخرتهم، فمن لا دنيا له لا آخرة له؛ والدنيا مزرعة الآخرة، إن عدم حبّ الدنيا لا يعني أن نزهد فيها، فلا نعمل ولا نسعى، بالعكس، إنّ إعمار الدنيا أمر يريده الله سبحانه وتعالى وهو عمل أُخروي، إنَّ الإنسان الذي يعمل من أجل دنياه هو عمل من أجل الآخرة إذا كان في سبيل الله، ويرافقه ذكر الله وتقوى الله.

---

١. مفاتيح الجنان، الأعمال الخاصة بليلة القدر

٢. سورة الشورى: ٣٠

خيرٌ من ألف شهر

اعرفوا قدر هذه الأيّام وقدر ليالي القدر؛ إنّ القرآن الكريم يقول بكلّ وضوح: ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾[١]، وفي هذا قدر عظيم؛ في هذه الليلة تهبط الملائكة، تحمل سلام، تحمل السكينة والطمأنينة والسلام بين الناس.

ادعو الله سبحانه وتعالى في حلّ مشكلات البلاد ومشكلات جميع المسلمين في العالم. ادعو الله سبحانه وتعالى لهداية عباده.

ادعو أن يغمر بالرحمة موتى المسلمين، وادعوه لقضاء حوائج جميع المؤمنين، وأسألكم الدعاء في ليالي القدر وأسأله سبحانه وتعالى الإجابة. نسألك اللّهمّ وندعوك باسمك العظيم الأعظم الأعزّ الأجلّ الأكرم، يا الله يا الله يا الله!

اللّهمّ وفّقنا لإدراك ليلة القدر.

اللّهمّ ارزقنا ثواب هذه الليالي العظيمة.

اللّهمّ استجب دعاءنا في ليالي القدر.

اللّهمّ وأبلغ سلامنا وتحيّاتنا إلى وليّنا بقية الله أرواحنا فداه.

اللّهمّ أعزّ أُمّتنا بعزّتك.

اللّهمّ ادحر أعداء الإسلام في كلّ مكان.

اللّهمّ هب شهداءنا الأعزّاء الدرجات العالية، واحشرهم مع أوليائك وعبادك الصالحين.

اللّهمّ احشر روح الإمام مع أوليائك.

اللّهمّ ارحم موتانا ووالدينا ومن له حقّ علينا، واغفر لهم.

اللّهمّ فرّج عن جميع المكروبين بكرمك.

اللّهمّ اجعل علاقتنا بالقرآن والإسلام قويّة وثيقة أكثر فأكثر.

اللّهمّ ارزقنا العمل بأحكام القرآن الكريم برحمتك يا أرحم الراحمين.

---

١. سورة القدر: ٣

المقالة الخامسة: الدعاء وسيلة التوجّه إلى الله والاستغفار

ديوان رئاسة الجمهورية ● ٢٩ رمضان المبارك ١٤٠٧ (١٩٨٧/٥/٢٨م)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين، والصّلاةُ وَالسّلام على سيّدنا ونبيّنا أبي القاسم محمّد وآله الأطيّبين الطاهرين المعصومين، ولعنة الله على أعدائهم أجمعين.

قال الله الحكيم: ﴿قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ﴾[1]

ضرورة الذكر والوعي المستمر

وفقاً للرؤية الإسلاميّة أنّ الإنسان بحاجة إلى التذكّر والوعي المستمرّ، ذلك أنّ الإنسان عابر سبيل ومسافر يطوي الطريق، فإذا ما غفل عن هذه الحقيقة وتوقّف عن السعي والكدح، فإنّه لن يصل إلى غايته، أمّا إذا ظلّ مداوماً في سعيه وحركته حتّى نهاية الفترة الزمنيّة المتاحة له وهي عمره، فإنّه سوف يصل إلى غايته، وهي الكمال المنشود والسمو الروحي، حيث تتضمّن حياته بعد الموت على مدى سعيه

١. سورة الفرقان: ٧٧

في الحياة الدنيا.

وفي ضوء الرؤية الإسلاميّة فإنّ الحياة الدنيا هي حياة مؤقّتة عابرة يمتحن فيها الإنسان، وأنّ الحياة الآخرة هي الحياة الحقيقيّة والمستقبل الحقيقي للإنسان: ﴿وَ إِنَّ الدَّارَ الْآَخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ﴾[1]

وعندما نرحل إلى هناك فسوف نرى الحياة الخالدة الحقيقيّة المفعمة بالسعادة والفرح والرضا، كلّ هذا يتوقّف على سعينا هنا في هذه الحياة المؤقّتة.

فإذا لم نبذل الجهد ولم نقم بالسعي المطلوب وتكاسلنا، نغمض أعيننا هنا ونفتحها هناك فجأة فنجد أيدينا خالية.

إنّه من الضروري جدًّا التذكّر، وقد بعث الله ﷻ رسله للذكرى والتذكير: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ﴾[2]. إنّ القرآن الكريم وسيلة للتذكّر، وتلاوة آياته تذكّر الإنسان، وكذلك إقامة الصلاة خمس مرّات في خمس أوقات يوميّاً وسيلة يتذكّر من خلالها الإنسان أنّه يطوي الطريق، وأنّ الدنيا ممرّ، وأنّ الدار الاخرة هي المستقر، وهي المستقبل الحقيقي للإنسان، وإذن فإنّ كلّ هذه الوسائل هي للتذكّر والذكرى لئلّا نغفل فإذا غفلنا، وإذا قصّرنا في السعي فإنّ مصيرنا ولا شكّ سيكون سيّئاً.

التقوى هي المراقبة والوعي المستمر

إنّ التقوى التي يؤكّدها الأنبياء والأولياء هي أن ينتبه الإنسان، وأن يكون يقظاً واعياً للمنزلقات، فيشق طريقه مستقيماً دون انحراف، وأن يكون حذراً من المنزلقات في طريق الحياة المليئة بالمنعطفات والمنزلقات، إنّ التقوى تحفظ للإنسان وعيه ويقظته

---

١. سورة العنكبوت: ٦٤

٢. سورة الغاشية: ٢١

وحذره، وتمّده بالقوة على مواصلة الطريق إلى الله وإلى التكامل الإنساني والعبوديّة لله سبحانه وتعالى.

إنّ شهر رمضان المبارك هو موسم الدعاء وإقامة الصلاة والصيام حيث يجوع الإنسان، ومن خلال الجوع تنمو الروح وتجد صفاءها ونقاءها، شهر رمضان المبارك موسم الذكر والمناخ المساعد الذي تنمو فيه التقوى، فتتراجع الوساوس النفسيّة، ويعيش الإنسان الصائم في حالة من الصفاء الروحي والنقاء النفسي بعيداً عن لوث الذنوب.

إنّ الفرق بين الإنسان المتّقي والإنسان غير المتّقي: هو أنّ الإنسان غير المتّقي عندما يضع قدمه في المنزلق فكأنّه يضع نفسه في منحدر زلق، فيهوي من ذنب إلى آخر، وهكذا إلى هاوية الانحطاط والسقوط، وعندئذٍ فإنَّه لا ينتبه إلى قبح الذنب، ويصبح ارتكاب الذنوب أمراً عادياً بالنسبة إليه، هكذا يكون الإنسان غير المتّقي.

أمّا الإنسان المتّقي فانّه عند ما يرتكب الذنب يشعر بهزّة في ضميره ووجدانه، ويعود إلى وعيه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾[1]

هكذا تفعل التقوى بأهلها، إنّها جرسٌ قويٌّ يدوي في أعماق النفس، ويعيد إليها حالة الوعي واليقظة والرشاد وبالتالي حفظ النفس من الانزلاق إلى هاوية الضياع.

إن الإنسان المتّقي دائم الذكر، مثله مثل الشخص الذي يجرفه التيّار العنيف نحو جهة ما، وعليه أن يسبح عكس هذا التيّار من أجل الوصول إلى شاطئ الأمان، وفي لحظة غفلة وفي لحظة كسل وفي لحظة تفرّج ونظر هنا وهناك، إذا به يجد نفسه قد جرفه التيّار بعيداً.

---

١. سورة الأعراف: ٢٠١

إنّ هذا التيار هي غرائزنا وأهوائنا ورغباتنا ونزعاتنا التي تتصادم مع سيرنا التكاملي، هذا التيّار الجارف يأخذنا إلى الوراء، فإذا انتبهنا وتذكّرنا وشعرنا بانحرافنا مع التيّار، وعدنا إلى السباحة عكس التيّار والمضيّ قدماً نحو الأمام، وإذا لم نكن من أهل التقوى وغفلنا، جرفنا التيّار، وقد نشعر بالارتياح لأنّنا لم نعد نجهد أنفسنا بالسباحة، ذلك أنّنا أسلمنا أنفسنا إلى التيّار، ثمّ بعد فترة من الزمن نجد أنفسنا غارقين في المستنقع الآسن؛ وحينئذٍ يكون قد فات الأوان.

الدعاء وخصوصيات شهر رمضان وسيلة للذكر

إنّ الدعاء في شهر رمضان المبارك وكلّ خصائصه هو من أجل هذا؛ من أجل أن نتذكّر؛ من أجل أن نخرج عن الغفلة، وننتبه إلى ما أصابنا من لوث الذنوب، هذه هي فرصتنا في هذا الشهر، لكي نقوم بتصحيح الأخطاء ومراجعة النفس.

أحياناً يتعوّد الإنسان على بعض الذنوب بحيث لا يشعر بأنّها ذنوب. وفي هذه الساعات الأخيرة من شهر رمضان المبارك الذي أوشك أن ينتهي، لنترقّب حلوله بعد عام، إنّ هذا الشهر المبارك فرصة، إنّ ليلة القدر فرصة استثنائيّة نسأله تعالى أن نكون قد وفّقنا إلى اغتنامها.

جاء في مفاتيح الجنان في وداع شهر رمضان: «وَأَن تَجعَلَني بِرَحمَتِكَ مِمّن خِرتَ لَهُ لَيلَةَ القَدرِ وَجَعَلتَها لَهُ خَيراً مِن أَلفِ شَهرٍ».

إن من مرّت عليه ليلة القدر كأي ليلة أخرى لا فرق لديه بينها وبين سائر الليالي، لا ذكر ولا تضرّع ولا بكاء، بل لم ينتبه إلى أنّها ليلة قدر، وكان مستغرقاً في أهوائه، فليلة القدر، لن تكون له خير من ألف شهر، بل ليلة الخسران لا خير له فيها؛ إنَّ ليلة القدر تكون من نصيب من يعرف قدر ساعاتها ودقائقها، تكون من نصيب من

أحياها بالعبادة والاستغفار.

إنّ دعاء الإمام السجّاد عليه السلام الدعاء الخامس والأربعون في الصحيفة السجّاديّة هو نموذج من أدعية أهل البيت عليهم السلام التي تعلّمنا أهميّة شهر رمضان المبارك.

علينا أن نقرأ هذه الأدعية مع إدراك كامل لمضامينها ومعانيها؛ لأنّها تشمل على المعارف السامية؛ لأنّها تعلّمنا الحب الإلهي، ولذا ينبغي ترجمتها بلغة تضاهي لغتها الأصليّة، بجمالها وبلاغتها، لكي تحقّق تأثيرها في النفوس، ومن المؤسف أنّ الترجمة تذهب بجماليّة النص الأصلي البليغ والمؤثّر.

وما أعظمه من دعاء! وما أجمله من نصّ من الناحية الأدبيّة والفنيّة! إلى جانب المضامين السامية التي تموج بالمعارف الدينيّة والحقائق الرائعة، من قبيل ما جاء في بعض الأدعية: «اللّهُمّ يا مَنْ لا يَرْغَبُ فِي الجَزاءِ، وَيا مَنْ لا يَنْدَمُ عَلَى العَطاءِ، وَيا مُبتَدِئاً بِالنِعَمِ قَبلَ استِحقَاقِها». ومن قرأ دعاء الإمام السجاد عليه السلام في وداع شهر رمضان المبارك وجده زاخراً بالمعارف السامية:

«اللّهُمّ يا مَنْ لا يَرْغَبُ فِي الجَزاءِ، وَيا مَنْ لا يَنْدَمُ عَلَى العَطاءِ وَيا مَنْ لا يُكافِئُ عَبْدَهُ عَلَى السّواءِ مِنّتُكَ ابتِداءٌ، وَعَفْوُكَ تَفَضُّلٌ، وَعُقُوبَتُكَ عَدْلٌ، وَقَضاؤُكَ خِيَرَةٌ، إِنْ أَعْطَيْتَ لَمْ تَشُبْ عَطاءَكَ بِمَنٍّ، وَإِنْ مَنَعْتَ لَمْ يَكُنْ مَنْعُكَ تَعَدّياً، تَشْكُرُ مَنْ شَكَرَكَ وَأَنْتَ أَلْهَمْتَهُ شُكْرَكَ، وَتُكافِئُ مَنْ حَمِدَكَ وَأَنْتَ عَلَّمْتَهُ حَمْدَكَ، تَسْتُرُ عَلى مَنْ لَوْ شِئْتَ فَضَحْتَهُ، وَتَجُودُ عَلى مَنْ لَوْ شِئْتَ مَنَعْتَهُ، وَكِلاهُما أَهْلٌ مِنْكَ لِلْفَضيحَةِ وَالمَنْعِ غَيْرَ أَنَّكَ بَنَيْتَ أَفْعالَكَ عَلى التَّفَضُّلِ وَأَجْرَيْتَ قَدْرَتَكَ عَلَى التَّجاوُزِ وَتَلَقَّيْتَ مَنْ عَصاكَ بِالحِلْمِ وَأَمْهَلْتَ مَنْ قَصَدَ لِنَفْسِهِ بِالظُّلْمِ، تَسْتَنْظِرُهُمْ بِأناتِكَ إِلى الإنابَةِ، وَتَتْرُكُ مُعاجَلَتَهُمْ إِلى التَّوْبَةِ لِكَيْلا يَهْلِكَ عَلَيْكَ هالِكُهُمْ، وَلا يَشْقى بِنِعْمَتِكَ شَقِيُّهُمْ إلا عَنْ طُولِ الإعْذارِ إِلَيْهِ، وَبَعْدَ تَرادُفِ الحُجَّةِ عَلَيْهِ، كَرَماً مِنْ عَفْوِكَ يا كَرِيمُ وَعائِدَةً مِنْ

عَطْفِكَ يا حَليمُ، أَنْتَ الَّذي فَتَحْتَ لِعِبادِكَ باباً إلى عَفْوِكَ، وَسَمَّيْتَهُ التَّوْبَةَ، وَجَعَلْتَ عَلَى ذَلِكَ البابِ دَليلاً مِنْ وَحْيِكَ لِئَلاّ يَضِلُّوا عَنْهُ، فَقُلْتَ تَبارَكَ اسْمُكَ: ﴿تُوبوُا إِلى اللهِ تَوْبَةً نَصُوحاً عَسى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِها الأَنْهارُ، يَوْمَ لا يُخْزِيَ اللهُ النَّبِيَّ وَالَّذينَ آمَنوُا مَعَهُ، نُوُرُهُمْ يَسْعى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمانِهِمْ، يَقُولُونَ: رَبَّنا أَتْمِمْ لَنا نُوُرَنا وَاغْفِرْ لَنا، إِنَّكَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَديرٌ﴾[١]، وَأَنْتَ الَّذي زِدْتَ فِي السَّوْمِ عَلى نَفْسِكَ لِعِبادِكَ، تُرِيدُ رِبْحَهُمْ فِي مُتاجَرَتِهِمْ لَكَ، وَفَوْزَهُمْ بِالوِفادَةِ عَلَيْكَ وَالزِّيادَةِ مِنْكَ، فَقُلْتَ تَبارَكَ اسْمُكَ وَتَعالَيْتَ: ﴿مَنْ جاءَ بِالحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثالِها، وَمَنْ جاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلا يُجْزى إِلاّ مِثْلَها﴾[٢]، وَقُلْتَ: ﴿مَثَلُ الَّذينَ يُنْفِقُونَ أَمْوالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِئَةُ حَبَّةٍ، وَاللهُ يُضاعِفُ لِمَنْ يَشاءُ﴾[٣] وَقُلْتَ ﴿مَنْ ذَا الَّذي يُقْرِضُ اللهَ قَرْضاً حَسَناً فَيُضاعِفَهُ لَهُ أَضْعافاً كَثيرَةً﴾[٤]، وَما أَنْزَلْتَ مِنْ نَظائِرِهِنَّ فِي القُرْآنِ مِنْ تَضاعيفِ الحَسَناتِ، وَأَنْتَ الَّذي دَلَلْتَهُمْ بِقَوْلِكَ مِنْ غَيْبِكَ وَتَرْغيبِكَ الَّذي فِيهِ حَظُّهُمْ عَلى ما لَوْ سَتَرْتَهُ عَنْهُمْ لَمْ تُدْرِكْهُ أَبْصارُهُمْ وَلَمْ تَعِهِ أَسْماعُهُمْ، وَلَمْ تَلْحَقْهُ أَوْهامُهُمْ، فَقُلْتَ: ﴿اذْكُرُوني أَذْكُرْكُمْ، وَاشْكُروا لي وَلا تَكْفُرُونِ﴾[٥] وَقُلْتَ: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذابي لَشَديدٌ﴾[٦]، وَقُلْتَ: ﴿ادْعُوني أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبادَتي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ داخِرِينَ﴾[٧]، فَسَمَّيْتَ دُعاءَكَ

---

١. سورة التحريم: ٨

٢. سورة الأنعام: ١٦٠

٣. سورة البقرة: ٢٦١

٤. سورة البقرة: ٢٤٥

٥. سورة البقرة: ١٥٢

٦. سورة إبراهيم: ٧

٧. سورة غافر: ٦٠

عِبادَةً، وَتَرْكَهُ اسْتِكْباراً وَتَوَعَّدْتَ عَلى تَرْكِهِ دُخُولَ جَهَنَّمَ داخِرِينَ، فَذَكَّرُوكَ بِمَنِّكَ وَشَكَرُوكَ بِفَضْلِكَ، وَدَعَوْكَ بِأَمْرِكَ، وَتَصَدَّقُوا لَكَ طَلَباً لِمَزِيدِكَ وَفِيها كانَتْ نَجاتُهُمْ مِنْ غَضَبِكَ وَفَوْزُهُمْ بِرِضاكَ، وَلَوْ دَلَّ مَخْلُوقٌ مَخْلُوقاً مِنْ نَفْسِهِ عَلى مِثْلِ الَّذي دَلَلْتَ عَلَيْهِ عِبادَكَ مِنْكَ كانَ مَوْصُوفاً بِالإِحْسانِ، وَمَنْعُوتاً بِالامْتِنانِ، وَمَحْمُوداً بِكُلِّ لِسانٍ، فَلَكَ الحَمْدُ ما وُجِدَ في حَمْدِكَ مَذْهَبٌ وَما بَقِيَ لِلْحَمْدِ لَفْظٌ تُحْمَدُ بِهِ، وَمَعْنىً يَنْصَرِفُ إِلَيْهِ، يا مَنْ تَحَمَّدَ إِلى عِبادِهِ بِالإِحْسانِ وَالفَضْلِ وَغَمَرَهُمْ بِالمَنِّ وَالطَّوْلِ، ما أَفْشى فينا نِعْمَتَكَ، وَأَسْبَغَ عَلَيْنا مِنَّتَكَ، وَأَخَصَّنا بِبِرِّكَ!، هَدَيْتَنا لِدينِكَ الَّذي اصْطَفَيْتَ وَمِلَّتِكَ الَّتِي ارْتَضَيْتَ وَسَبِيلِكَ الَّذي سَهَّلْتَ، وَبَصَّرْتَنا الزُّلْفَةَ لَدَيْكَ وَالوُصُولَ إِلى كَرامَتِكَ، اللّهُمَّ وَأَنْتَ جَعَلْتَ مِنْ صَفايا تِلْكَ الوَظائِفِ وَخَصائِصِ تِلْكَ الفُرُوضِ شَهْرَ رَمَضانَ الَّذي اخْتَصَصْتَهُ مِنْ سائِرِ الشُّهُورِ، وَتَخَيَّرْتَهُ مِنْ جَمِيعِ الأَزْمِنَةِ وَالدُّهُورِ، وَآثَرْتَهُ عَلى كُلِّ أَوْقاتِ السَّنَةِ بِما أَنْزَلْتَ فيه مِنَ القُرْآنِ وَالنُّورِ، وَضاعَفْتَ فِيهِ مِنَ الإِيمانِ، وَفَرَضْتَ فيهِ مِنَ الصِّيامِ وَرَغَّبْتَ فِيهِ مِنَ القِيامِ، وَأَجْلَلْتَ فيهِ مِنْ لَيْلَةِ القَدْرِ الَّتِي هِيَ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ، ثُمَّ آثَرْتَنا بِهِ عَلى سائِرِ الأُمَمِ وَاصْطَفَيْتَنا بِفَضْلِهِ دُونَ أَهْلِ المِلَلِ، فَصُمْنا بِأَمْرِكَ نَهارَهُ وَقُمْنا بِعَوْنِكَ لَيْلَهُ، مُتَعَرِّضِينَ بِصِيامِهِ وَقِيامِهِ لِما عَرَّضْتَنا لَهُ مِنْ رَحْمَتِكَ، وَتَسَبَّبْنا إِلَيْهِ مِنْ مَثُوبَتِكَ وَأَنْتَ المَلِيءُ بِما رُغِبَ فِيهِ إِلَيْكَ، الجَوادُ بِما سُئِلْتَ مِنْ فَضْلِكَ القَرِيبُ إِلى مَنْ حاوَلَ قُرْبَكَ وَقَدْ أَقامَ فينا هذا الشَّهْرُ مَقامَ حَمْدٍ، وَصَحِبَنا صُحْبَةَ مَبْرُورٍ وَأَرْبَحَنا أَفْضَلَ أَرْباحِ العالَمِينَ، ثُمَّ قَدْ فارَقَنا عِنْدَ تَمامِ وَقْتِهِ وَانْقِطاعِ مُدَّتِهِ، وَوَفاءِ عَدَدِهِ، فَنَحْنُ مُوَدِّعُوهُ وِداعَ مَنْ عَزَّ فِراقُهُ عَلَيْنا وَغَمَّنا وَأَوْحَشَنَا انْصِرافُهُ عَنَّا، وَلَزِمَنا لَهُ الذِّمامُ المَحْفُوظُ، وَالحُرْمَةُ المَرْعِيَّةُ، وَالحَقُّ المَقْضِيُّ فَنَحْنُ قائِلُونَ: السَّلامُ عَلَيْكَ يا شَهْرَ اللهِ الأَكْبَرَ، وَيا عِيدَ أَوْلِيائِهِ، السَّلامُ عَلَيْكَ يا أَكْرَمَ مَصْحُوبٍ مِنَ الأَوْقاتِ، وَيا خَيْرَ شَهْرٍ فِي الأَيّامِ وَالسّاعاتِ، السَّلامُ عَلَيْكَ مِنْ

شَهْرٍ قَرُبَتْ فيهِ الآمالُ».

وهكذا يودّع الإمام زين العابدين شهر رمضان المبارك بحرقة حزيناً متأثراً بقلب مفعم بالأسى؛ لأنّه يودّع شهراً قربت فيه الآمال فهي على وشك أن تتحقّق في لياليه الواعدة المباركة؛ ولذا ينبغي أن يترجم هذا الدعاء وجميع ادعية أهل البيت عليهم السلام بلغة قريبة من لغة النصّ العربي؛ لأنّ نصوص الأدعية تمتاز بلغة أدبيّة رائعة، أنا لا أتحدّث عن الشرح والتفسير، إنّما أتحدّث عن ترجمة النص الأصلي الذي ينبغي أن يرقى إلى جماليّة النصّ الأصلي، لكي يحقّق تأثيره في النفوس.

ترك الذنوب هي الحافظة للتقوى

وفي الختام أطلب من الأخوة والأخوات المحافظة على ما يحصل عليه الصائمون في هذا الشهر من التقوى؛ أن تستمرّ في النفوس هذه الحالة من خلال المواظبة على الحضور في المساجد، والمحافظة على الصلاة، والاستمرار في تلاوة القرآن الكريم والدعاء والمناجاة وتعزيز هذه الحالة الروحيّة والأجواء المعنويّة.

إنّ ما يحصل عليه المرء في هذا الشهر المبارك لا يقدّر بثمن، ليس من الضروري أن يزن المرء جسمه لكي يرى ما فقده من وزن، يجب أن يكون هاجسه الوحيد ما حصل عليه من صفاء ونقاء، وإلى أي مدى وصل تأثير هذا الشهر الكريم في سلوكه؟

إنّ المحافظة على حالة الصفاء الروحي يجب ان تكون أكبر همومنا، ذلك بأن إحدى مشكلاتنا العويصة هي اعتيادنا على بعض الذنوب من دون أن ننتبه إليها، من قبيل الغيبة والكذب وإيذاء الآخرين بكلامنا، إنّ علينا أن ننتبه إليها، وأن نصحّح أخطاءنا، أن ننتبه إلى حركاتنا ونظراتنا، وإلى ما نحصل عليه أموال ألّا تكون من استحقاقنا، ألّا تكون تجاوزاً على بيت المال ومن الأموال العامة التي هي حقّ الأُمّة،

وهذه من الذنوب الكبيرة التي يرتكبها البعض وهو في غفلة عن ذلك، وهذه هي الغفلة عندما لا يعلم الإنسان أنّه يرتكب الذنوب، أو أنّه يستصغر ذلك، وتبدو الذنوب الكبيرة في عينيه صغيرة جدّاً، واستصغار الذنوب بحدّ ذاته ذنب كبير.

إنَّ معرفة الداء نصف الدواء، ومعرفة المشكلة تسهم في إيجاد الحلّ، وكذلك مسألة الذنوب، إنّ معرفة الذنوب تسهم في تكوين الوعي، لذا علينا أن نتعرّف على ذنوبنا، أن ندقّق في أعمالنا اليوميّة وممارساتنا اليوميّة، خاصّة أولئك الذين هم في نظر المجتمع قدوة؛ إنّ على هؤلاء أن يكونوا حذرين في سلوكهم وتعاملهم وسيرتهم؛ لأنّها تكون في نظر المجتمع معياراً لهم في تبرير ممارساتهم وأعمالهم، وهكذا أشخاص ستكون أخطاؤهم معولاً هداماً في جسم المجتمع.

وقد جاء في الحديث الشريف عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «المُؤمِنُ مِرآةُ المُؤمِنِ»[1]، وعندما لا نستطيع التعرّف على أخطائنا وذنوبنا يأتي دور الأخ المؤمن في التنبيه على ذلك. إنّ ضبط النفس وردعها عن ارتكاب الذنوب هو جوهر التقوى وأساسها، فلنسع إلى ترك الذنوب، وأن نحفظ أنفسنا من اقترافها.

احتياج المجتمع والنظام الإسلامي إلى الأشخاص المتقين

إنّ مجتمعنا اليوم وبلادنا بحاجة شديدة إلى الناس الطيّبين؛ إلى هذه القوى البشريّة النزيهة، بحاجة إلى القلوب العامرة بالإيمان والمعرفة والتقوى، إن قوّتنا وقوّة نظامنا وبلادنا تكمن في ذلك. وهكذا فإنّ شهر رمضان المبارك كما هو في الأعوام الماضية فرصة كبرى، وقد وفّقنا الله لصيامه وأداء طاعاته وإنّنا نشكر الله سبحانه على ذلك، فقد أشاع أجوائنا روح الصفاء والأخوّة والإيمان.

---

١. تحف العقول، باب ما روي عن أمير المؤمنين عليه السلام، وصيته عليه السلام لكميل بن زياد.

الدعاء والذكر والوعي العاشورائي

وهنا أودّ أن أختتم كلامي بالإشارة إلى بعض المشاهد في جبهات الحرب والقتال، لقد شهدت بعضها وشاهدت شبابنا عندما تقترب ساعة الصفر وتقترب بداية العمليّات، حيث احتمال الاستشهاد والرحيل إلى الله بات وشيكاً؛ هناك تتحوّل الخنادق إلى خلايا نحل، وإذا بالصلوات ترتفع، وأصداء المناجاة تملأ القضاء، وتذرف دموع الشوق للقاء الله سبحانه وتعالى، فالآجال تقترب من النهاية، وساعة الرحيل باتت قريبة جدّاً.

إن هكذا مشاهد ربما لم تحصل إلّا في ليلة عاشوراء وفي مخيم أصحاب أبي عبد الله ﷺ، فقد أشارت المدوّنات التاريخيّة إلى أنَّ أنصار الحسين ﷺ أحيوا تلك الليلة الطويلة بالدعاء والصلاة والمناجاة، وكان لهم كما يقول التاريخ: دويّ كدويّ النحل في خلاياه، من تلاوة لآيات القرآن الكريم ومناجاة وابتهال وتضرّع؛ لقد كانوا مستغرقين جميعاً في حالة من الصفاء الروحي والقرب الإلهي.

أمّا في ليلة الحادي من المحرّم، وبعد أن انتهت الواقعة، فقد انطفأ ذلك الدويّ، وسكنت تلك الأصداء؛ لأنَّه لم يعد في تلك الخيام المحترقة سوى أطفال ونساء، سوى بكاء الأطفال من الظمأ، وعويل النساء على الشهداء وعلى سيّد الشهداء.

نسألك اللّهمّ وندعوك باسمك العظيم الأعظم الأعزّ الأجلّ الأكرم

وبأوليائك وبدم المظلومين، يا الله يا الله يا الله يا الله يا الله.

اللّهمّ بمحمّد وآل محمّد اجعل هذا الشهر المبارك مباركاً على أمّتنا.

اللّهمّ تقبّل من عبادك في هذا الشهر من الخيرات بفضلك وكرمك.

اللّهمّ بمحمّد وآل محمّد تجاوز عن ذنوبنا وخطايانا في هذا الشهر الكريم يا كريم يا الله.

اللّهم بمحمّد وآل محمّد ارحم موتانا ووالدينا، وتغمّد شهداءنا برحمتك الواسعة.

اللّهمّ بمحمّد وآل محمدّ تقبّل دعاءنا في هذا الشهر وخاصّة ليالي القدر.

اللّهمّ بمحمّد وآل محمّد أطل في أعمارنا في سلامة وعافية، واستجب دعاء إمامنا فينا.

اللّهمّ بمحمّد وآل محمّد ألهم أسر الشهداء الصبر والسكينة، وأجزل لهم الأجر.

اللّهمّ بمحمّد وآل محمّد اكشف كرب المكروبين، وادحر أعداء المسلمين.

اللّهمّ أعنّا على أنفسنا الأمارة بالسوء.

الأّهم بمحمدّ وآل محمّد عجّل فرج آل محمّد، وعجّل ظهور مهدي آل محمّد، واجعلنا من أنصاره وجنوده والمستشهدين بين يديه.

اللّهمّ تقبّل منا دعاءنا، وتجاوز عن تقصيرنا.

رحم الله من قرأ الفاتحة مع الصلوات

تقديم كتب دار «صهبا»

المسيح في ليلة القدر

كتاب «المسيح في ليلة القدر» عبارة عن تقرير لزيارات الإمام الخامنئي (دام ظله) لعوائل الشهداء الإيرانيين المسيحيين الذين استشهدوا دفاعاً عن الوطن الإسلامي الفتيّ، في مقابل تجاوز المعتدين وأذناب الاستكبار.

إنسان بعمر٢٥٠سنة

يشكّل هذا الكتاب عرضاً شاملاً ومترابطاً لرؤية الإمام الخامنئي (دام ظله) حول السيرة الجهادية والسياسة لأئمة الهدى عليهم السلام.

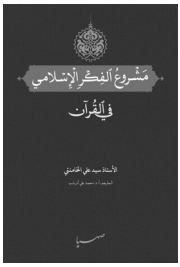

مشروع الفكر الإسلامي في القرآن

كتاب نفيس من إصدار مؤسسة صهبا يحتوي على ثمانية وعشرين محاضرة ألقاها الإمام السيد علي الخامنئي (دام ظله) في مشهد في شهر رمضان المبارك عام ١٩٧٤ (١٣٥٣ ه. ش.) تناول فيها مواضيعَ الإيمان، التوحيد، النبوة والولاية.

البصيرة والإستقامة

عبارة عن مقطتفات من خطب ومحاضرات سماحة الإمام الخامنئي (دام ظله) حول البصيرة والاستقامة.

علينا الاستغفار من ذنوبنا. الفائدة الكبرى للاستغفار هي أنه يخرجنا عن الغفلة عن أنفسنا. أحياناً نقع في أخطاء بخصوص أنفسنا. و حين نفكّر بالاستغفار تتجسّد أمامنا ذنوبنا و خطايانا و لامبالاتنا و اتباعنا لأهوائنا النفسية و تجاوزنا للحدود و ظلمنا لأنفسنا و ظلمنا للآخرين. و نتذكّر ما فعلنا، وعندئذ لا نصاب بالغرور والنخوة والغفلة عن أنفسنا. هذه هي فائدة الاستغفار. ثم إن الله تعالى وعد الإنسان الذى يستغفر، أي الذى يطلب المغفرة والصفح من الله سبحانه طلباً حقيقياً ويكون نادمًا على ذنبه بالقول: «لوجد الله توّاباً رحيماً».. الله سبحانه يقبل التوبة من عباده. هذا الاستغفار عودة إلى الله و إعراض عن الذنوب والخطايا، والله تعالى يقبله إن كان استغفاراً حقيقياً.

١٤/٩/٢٠٠٧

arabic.sahbabooks.com